القسم الثانى
فِى شَذَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ الْكُتَّابِ
وَفِيهِ فُصُولٌ

فَصْلٌ
فِى حُسْنِ التَّوَاصُلِ

كتبَ أبو عبدِ الرحمنِ محمدُ بنُ طاهرٍ[1] إلى بعضِ إخوانِهِ

كَتَبْتُ أَعَزَّكَ اللهُ عَنْ ضَمِيرٍ انْدَمَجَ عَلَى سِرِّ اعْتِقَادِكَ دُرُّهُ وَتَبَلَّجَ فِى أُفُقِ وِدَادِكَ بَدْرُهُ وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ ثَنَائِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِى رَاحَتَىْ سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَمَّا ظَفِرْتُ بِفُلَانٍ حَمَّلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِى زَهَرًا جَنِيًّا يُوَافِيكَ عَرْفُهُ ذَكِيًّا وَيُوَالِيكَ أُنْسُهُ نَجِيًّا وَيَقْضِى مِنْ حَقِّكَ

---

(١) هو محمد بن طاهر الأندلسى أبو عبد الرحمن من أكابر الكتاب بالأندلس ولى المظالم فى دولة المعتمد بن عباد وتقدم به أدبه. ثم نكب وحبس فى "منت قوط" فشفع فيه صاحب بلنسية "الوزير الأجل أبو بكر بن عبد العزيز" فأطلقه المعتمد فركب إلى بلنسية فأشركه ابن عبد العزيز فى أمره وداهمها الإفرنج فأسر ثم أطلق فاستقر فى شاطبة إلى أن خرج العدو من بلنسية فعاد إليها وتوفى بها سنة ٥٠٧ هـ عن نيف و ٩٠ عامًا ودفن بمرسية.

انظر المزيد فى: قلائد العقيان ٥٧.

فَرْضًا مَأْتِيًّا عَلَى أَنَّ شَخْصَ جَلاَلِكَ لِي مَاثِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ لاَيَمَلُّهُ خَاطِرٌ وَلاَ يَمَسُّهُ عَرَضٌ دَائِرٌ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وكتبَ أبَو الفضلِ بنْ العميدِ[1] إلى بعضِ إخوانهِ

قَدْ قَرُبَ أَيَّدَكَ اللهُ مَحَلُّكَ عَلَى تَرَاخِيهِ وَتَصَاقَبَ مُسْتَقَرُّكَ عَلَى تَنَائِيهِ لأَنَّ الشَّوقَ يُمَثِّلُكَ وَالذِّكْرَ يُخَيِّلُكَ فَنَحْنُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى افْتِرَاقٍ وَفِي الْبَاطِنِ عَلَى تَلاَقٍ وَفِي التَّسْمِيَةِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي الْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ وَلَئِنْ تَفَارَقَتِ الأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَانَقَتِ الأَرْوَاحُ.

---

(١) هو محمد بن الحسين العميد بن محمد أبو الفضل وزير من أئمة الكتاب. كان متوسعًا فى علوم الفلسفة والنجوم، ولقب بالجاحظ الثانى فى أدبه وترسله. قال الثعالبى: بدئت الكتابة بعبد الحميد. وختمت بابن العميد. ولى الوزارة لركن الدولة البويهى وكان حسن السياسة خبيرًا بتدبير الملك كريمًا ممدوحًا قصده جماعة من الشعراء فأجازهم ومدحه المتنبى فوهبه ثلاثة آلاف دينار. له "مجموع رسائل" فى مجلد ضخم، وشعر رقيق. قال ابن الأثير: كان أبو الفضل من محاسن الدنيا، اجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة التى أتى فيها بكل بديع، مع حسن خلق ولين عشرة وشجاعة تامة ومعرفة بأمور الحرب والمحاضرات، وبه تخرج عضد الدولة البويهى ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء. وكانت وزارته أربعًا وعشرين سنة. وعاش نيفا وستين ومات بهمذان سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ م.

انظر المزيد فى: يتيمة الدهر ٣/ ٢، الكامل ٥/ ١٠٥، الوفيات ٢/ ٥٧، معاهد التنصيص ٢/ ١١٥، تحفة الأمراء ٤٧، أمراء البيان ٥٤٦ - ٥٧٠، الامتاع والمؤانسة ١/ ٦٦، تجارب الأمم ٦/ ٢٧٤ - ٢٨٢.

وَكتبَ بديعُ الزمانِ الهمذانيُّ إلى القَاسم الكرجيِّ

يَعِـزُّ عَلَيَّ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّـيْخِ الرَّئيسِ أَنْ يَنُوبَ فِي خِدْمَتِهِ قَلَمِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْـعَدَ بِرُؤْيَتِهِ رَسُـولِي دُونَ وُصُولِي وَيَرِدَ مَشْرَعَةَ الأُنْسِ بِهِ كِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلكِنْ مَا الْحِيلَةُ وَالْعَوَائِقُ جَمَّةٌ.

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَى إِدْرَاكُ النُّجَاحِ

وَقَـدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبَّلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبُّ الْحِيطَانِ وَلكِنْ شَـغَفًا بِالْقُطَّانِ وَلاَ عِشْـقُ الْجُدْرَانِ وَلكِنْ شَوقًا إِلَى السُّكَّانِ وَحِينَ عَدَتِ الْعَوَادِي عَنْهُ أَمْلَيْتُ ضَمِيرَ الشَّـوقِ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ مُعْتَذِرًا إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرٍ وَقَعَ وَفُتُورٍ فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلكِنِّي أَقُولُ إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكَفَى أَنْ لاَ أَرَاكَ عِقَابًا.

وكتَـبَ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ البطليوسـى إلى أبى الحسـنِ بن الأخضرِ[1].

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن السيد أبو محمد من العلماء باللغة والأدب. ولد سنة ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢ م ونشأ بطليوس (Bpdakoz) فى الأندلس. وانتقل إلى بلنسية فسكنها وتوفى بها سـنة ٥٢١ هـ/ ١١٢٧ م من كتبه "الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن قتيبة" و "المسـائل والأجوبة" و "الإنصاف فى التنبية على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسـلمين فى أرائهـم" و "الحدائق فى الدين" و "المثلث" فى اللغة كمثلثات قطرب، و "شـرح سقط الزند للمعرى" و "الحلل فى شرح أبيات الجمل" و "الحلل فى أغاليط الجمل" و "شرح الموطأ" وغير ذلك.

انظر المزيد فى: بغية الملتمس ٣٢٤، الصلة ٢٨٧، قلائد العقيان ١٩٣، وفيات =

يَا سَـيِّدِى الأَعْلَى وَعِمَادِى الأَسْـنَى وَحَبَتَةَ الدَّهْرِ الْحُسْنَى الَّذِى جَلَّ قَدْرُهُ وَسَـارَ مَسِـيرَ الشَّـمْسِ ذِكْرُهُ وَمَـنْ أَطَالَ اللهُ بَقَـاءَهُ لِفَضْـلٍ يُعْلِى مَنَارَةُ وَعِلْمٍ يُحِيى آثَـارَهُ نَحْنُ أَعَزَّكَ اللهُ نَتَدَانَـى إِخْلاَصًـا وَإِنْ تَنَاءَيْنَا أَشْـخَاصًا وَيَجْمَعُنَا الأَدَبُ وَإِنْ فَرَّقَنَا النَّسَـبُ فَالأَشْـكَالُ أَقَارِبُ وَالآدَابُ مَنَاسِبُ وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَاءِى الأَشْـبَاحِ إِذَا تَقَارَبَتِ الأَرْوَاحُ وَمَا مَثَلُنَا فِى هذَا الإِنْتِظَامِ إِلاَّ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّام:

نَسِيبِىَ فِـى رَأْيِى وَعِلْمِى وَمَذْهَبِى
وَإِنْ بَاعَدَتْنَـا فِى الأُصُولِ الْمَنَاسِبُ

وَلَـوْ لَمْ يَكُنْ لِـى بِرُكَ ذَاكِرٌ وَلِمَفَاخِرِكَ نَاشِـرٌ إِلاَّ ذُو الْوِزَارَتَيْنِ أَبُو فُلاَنٍ أَبْقَاهُ اللهُ لَقَامَ لَكَ مَقَامَ سَـحْبَانِ وَائِلٍ وَأَغْنَاكَ عَنْ قَوْلِ كُلِّ قَائِـلٍ فَإِنَّهُ يَمُدُّ فِى مِضْمَارِ ذِكْرِكَ بَاعًا رَحِيبًا وَيَقُومُ بِفَخْرِكَ فِـى كُلِّ نَادٍ خَطِيبًـا حَتَّى يَثْنِىَ إِلَيْكَ الأَحْـدَاقَ وَيَلْوِىَ نَحْوَكَ الأَعْنَـاقَ فَكَيْفَ وَمَا يَنْطِقُ إِلاَّ بِالَّذِى عَلِمَتْ سَـعْدٌ وَمَا تَقَرَّرَ فِى النُّفُوسِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِـرْ فَلَكَ مِـنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِـرْ فَلَكَ حَيْثُ

= الأعيان ١/ ٢٦٥، أزهار الرياض ٣/ ١٠١ – ١٤٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨.

سَارَ وَإِنَّ لَيْلَ جَهْلٍ أَطْلَعْتَ فِيهِ فَجْرَ تَبْصِيرِكَ لَجَدِيرٌ بِأَنْ يَصِيرَ نَهَارًا وَإِنَّ نَبْعَ فِكْرٍ قَدَحْتَهُ بِتَذْكِيرِكَ لَجَدِيرٌ بِأَنْ يَعُودَ مَرْخًا وَعَفَارًا فَهَنِيئًا لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ الْقَدَمِ سَامِخُ الْعَلَمِ مَنْشُورُ اللِّوَاءِ مَشْهُورُ الذِّكَارِ مُلِّيتِ الآدَابُ عُمْرَكَ وَلاَ عَدِمَتِ الأَلْبَابُ ذِكْرَكَ وَرَقِيتَ مِنَ الْمَرَاتِبِ أَعْلاَهَا وَلَقِيتَ مِنَ الْمَآرِبِ أَقْصَاهَا بِفَضْلِ اللهِ.

وكتبَ أبو بكرٍ الخُوَارَزْمِي[1] إِلى أبى الوَفَاءِ صاحب جيش

---

(١) هـو محمد بن العباس الخوارزمى أبو بكر من أئمة الكتاب وأحد الشـعراء العلماء كان ثقة فى اللغة ومعرفة الأنسـاب وهو صاحب الرسائل المعروف برسائل الخوارزمى. وله "ديوان شـعر" ولد سنة ٣٢٣ هـ/ ٩٣٥ م.ونشأ فى خوارزم ورحل فى صباه إلى بعض البلدان فدخل سجسـتان ومدح واليها طاهر بن محمد ثم هجاه فحبسـه وانطلق فتابع رحلته، وأقام فى دمشـق مدة ثم سـكن فى نواحى حلب. وانتقل إلى نيسابور فاستوطنها واتصل بالصاحب بن عباد وتوفى بها سنة ٣٨٣ هـ/ ٩٩٣ م وكانت بينه وبين البديع الهمذانى محاورات وعجائب نقل بعضها ياقوت الحموى فى معجم الأدباء وأورده ابن خلكان والثعالبى طائفة من أشـعاره وأخباره وكان يقـال لـه "الطبرى" لأنه ابـن أخت محمد بن جرير الطـبرى كما يقال له "الطبرخزى" و "الطبرخزمى" لأنه أمه من طبرسـتان وأباه من خوارزم فركب له من الأسمين نسبه.

انظـر المزيد فى: معجـم الأدباء، الوفيات ١/ ٤٢٣، اللبـاب ١/ ٣٩١، بغية الوعاة ٥١، الوفى بالوفيات ٣/ ١٩١، يتيمة الدهر ٤/ ١١ – ١٦٠.

عضُد الدولة[1].

كِتَابِي وَأَنَا بِمَا يَبْلُغُنِي مِنْ صَالِح أَخْبَار الشَّـيْخ مُغْتَبِطُ مَسْـرُورٌ وَبِمَا يَعْرِفُهُ الزَّمَانُ وَأَهْلُه مِن اعْتِضَادِى بِهِ مَصُونٌ مَوْفُورٌ وَاللهُ عَلَى الأُوَلى مَحْمُودٌ وَعَلَى الأُخْرَى مَشْـكُورٌ أَلَتَّطَفُّـل وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا فِـى غَـيْرِ مَوَاطِنِهِ فَإِنَّهُ مُبَاحٌ فِى أَمَاكِنِهِ وَهُـوَ وَإِنْ كَانَ فِى بَعْضِ الأَحْوَالِ يَجْمَعُ عَـارًا وَوِزْرًا فَإِنَّهُ فِى بَعْضِهَا يجْمَعُ فَخْرًا وَذُخْرًا

---

(١) هو فناخسـرو الملقب عضد الدولة بن الحسـن الملقب ركـن الدولة بن بويه الديلمى أبو شـجاع أحد المتغلبين على الملك فى عهد الدولة العباسية بالعراق. تولى ملـك فارس ثـم ملك الموصل وبلاد الجزيرة، وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة وأول من لقب فى الإسـلام "شاهنشـاه" قال الزمخشـرى فى ربيع الأبرار "وصـف رجل عضد الدولة فقـال: وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسـان وصدر فيه ألف قلب" كان شديد الهيبة جبارًا عسوفا، أديبا، عالمًا بالعربية ينظم الشعر، نعتـه الذهبى بالنحوى، وصنف له أبو على الفارسـى "الإيضـاح" و"التكملة". كما صنـف له أبو إسـحاق الصابى "كتـاب التاجى" فى أخبار بنـى بويه ولقبه بتاج الملة ومدحه فحول الشـعراء كالمتنبى والسـلامى وكان شـيعيًا. قال الذهبى: أظهر بالنجف قبرًا زعم أنه قبر الإمام على رضى الله عنه وبنى عليه المشـهد وأقام مأتم عاشـوراء. وكان كثير العمران، أنشأ ببغداد البيمارستان العضدى وعمر القناطر والجسـور، وبنى سـورًا حول مدينة الرسول صلى الله عليه وسـلم، أخباره كثيرة متفرقة. مات سنة ٣٧٢ هـ: ٩٨٣ م وكان مولوده سنة ٣٢٤ هـ/ ٩٣٦ م.

انظر المزيد فى: بغية الوعاة ٣٧٤، تاريخ ابن الوردى ١/ ٣٠٥، وفيات الأعيان ١/ ٤١٦، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩، مرآة الجنان ٢/ ٣٩٨، يتيمة الدهر ٢/٢.

وَرُبَّ فِعْلٍ يُصَابُ بِهِ وَقْتُهُ فَيَكُونُ سُـنَّةً وَهُوَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ بِدْعَةٌ وَقَدْ تَطَفَّلْتُ عَلَى الشَّـنْجِ بِهـذِهِ الأَحْرُفِ أَخْطُبُ بِهَا مَوَدَّتَهُ إِلَيْهِ وَأَعْرِضُ فِيهَا مَوَدَّتِي عَلَيْهِ وَأَسْـأَلُهُ أَنْ يَرْسُمَ لِي فِي لِسَانِي وَقَلَمِي رَسْمًا وَيَخْتِمَ عَلَيْهِمَا خَتْمًا فَقَـدْ جَعَلْتُهُمَا بِاسْمِهِ وَقَصَرْتُهُمَا عَلَى حُكْمِهِ وَسَـأَضَعُهُمَا تَحْتَ خَتْمِهِ وَبَرِئْتُ إِلَيْهِ مِنْهُمَا وَصِرْتُ وَكِيلَهُ فِيهِمَا فَهُمَا عَلَى غَيْرِهِ حِمىً لاَ يُقْرَبُ وَبِجِيرَةٌ لاَ تُحْلَبُ وَلاَ تُرْكَبُ وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى آثَارِ الشَّيْخِ عَلَى الأَحْرَارِ وَنَشَرْتُ طِرَازَ مَحَاسِنِهِ مِنْ أَيْدِي الْقَاصِدِينَ وَالزُّوَّارِ وَرَأَيْتُ نَفْسِـي غُفْلاً مِنْ مَوَدَّتِهِ وَعُطُلاً مِنْ جَمَالِ عِشْـرَتِهِ حَمَيْتُهَا مِنْ أَنْ يُحْمَى عَلَيْهَا وِرْدٌ مَوْرُودٌ وَيُحْسَـرَ عَنْهَا ظِلٌّ عَلَى الْجَمِيعِ مَمْدُودٌ وَعَجِبْتُ مِنْ:

سَحَابٍ خَطَانِي جَوْدُهُ وَهْوَ صَيِّبٌ
وَبَحْـرٍ عَدَانِي سَيْلُهُ وَهُـوْ مُفْعَـمُ
وَبَـدْرٍ أَضَـاءَ الأَرْضَ شَـرْقًا وَمَغْرِبًا
وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْـهُ أَسْـوَدُ مُظْلِـمُ

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِي الاِسْتِعْطَافِ وَالإِعْتِذَارِ

كتب عمروُ بنُ بحرٍ الجاحظُ إلى ابنِ أبي دُؤَادٍ[1].

لَيْسَ عِنْدِي أَعَزَّكَ اللهُ سَبَبٌ وَلاَ أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلاَّ مَا طَبَعَكَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّأْمِيلِ الَّذِي لاَ يَكُونُ إِلاَّ مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ وَإِثْبَاتِ الْفَضْلِ بِحَالِ الْمَأْمُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُتَقَاءِ الشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ خَيْرَ مُعْتِبٍ وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ. وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ هذَا الأَمْرَ سَبَبًا لِهذَا الإِنْعَامِ وَهذَا الإِنْعَامَ سَبَبًا

(١) هو أحمد بن أبي داود بن جرير بن مالك الإيادي أبو عبد الله أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس فتنة القول بخلق القرآن، قدم به أبوه وهو حدث من قنسرين "بين حلب ومعرة النعمان" إلى دمشق فنشأ فيها ونبغ ومنها رحل إلى العراق وقيل ولد بالبصرة سنة ١٦٠ هـ/ ٧٧٧ م قال أبو العيناء: ما رأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من أبي داود، وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء، وكانوا لا يبداهم أحد حتى يبداوه. وكان عارفًا بالأخبار والأنساب مات سنة ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤ م.

انظر المزيد في: وفيات الأعيان ١/ ٢٢، تاريخ بغداد ٤/ ١٤ - ١٥٦، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٩، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٠ - ٣٠٢، لسان الميزان ١، ١٧١، ثمار القلوب ١٦٣.

للإنْقِطَـاعِ إِلَيْكُـمْ وَالْكَوْنِ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُمْ فَيَكُـونَ لاَ أَعْظَمَ بَرَكَةً وَلاَ أَنْمَى بَقِيَّةً مِنْ ذَنْـبٍ أَصْبَحتُ فِيهِ وَبِمِثْلِكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ عَادَ الذَّنْبُ وَسِـيلَةً وَالسَّيِّئَةُ حَسَـنَةً وَمِثْلُكَ مَنِ اتْقَلَبَ بِهِ الشَّرُّ خَيْرًا وَالْغُـرْمُ غُنْمًا. مَنْ عَاقَبَ فَقَدْ أَخَـذَ حَظَّهُ وَإِنَّمَا الأَجْرُ فِي الآخِرَةِ وَطِيـبُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَـدَرِ الإِحْتِمَالِ تَجَرُّعِ الْمَرَائِرِ وَأَرْجُو أَنْ لاَ أَضِيـعَ وَأَهْلِكَ فِيمَا بَيْنَ كَرَمِكَ وَعَقْلِـكَ. وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْفُو عَمَّنْ صَغُـرَ ذَنْبُهُ وَعَظُمَ حَقُّهُ وَإِنَّمَا الْفَضْلُ وَالثَّنَاءُ الْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ الْجُرْمِ ضَعِيفِ الْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ الْعَفْوُ الْعَظِيمُ مُسْتَطْرَفًا مِنْ غَيْرِكُمْ فَهُوَ تِـلاَدٌ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّمَا دَعَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِكُمْ فَلاَ أَنْتُمْ عَنْ ذَلِكَ تَنْكُلُونَ وَلاَ عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ تَنْدَمُونَ وَلاَ مَثَلُكُمْ إِلاَّ كَمَثَلِ عِيسَـى ابْـنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لاَ يَمُرُّ بِمَلاَءٍ مِنْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ إِلاَّ أَسْمَعُوهُ شَـرًّا وَأَسْمَعَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ لَهُ شِمْعُونُ الصَّفَا مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ كُلَّمَا أَسْمَعُوكَ شَـرًّا أَسْمَعْتَهُمْ خَيْرًا. فَقَالَ كُلُّ امْرِىءٍ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ إِلاَّ الْخَيْرُ وَلاَ فِي أَوْعِيَتِكُمْ إِلاَّ الرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضِحُ.

وكتبَ إلى رجلٍ

زَيَّنَكَ اللهُ بِالتَّقْوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ الأَخِرَةِ وَالأُولَى. مَنْ عَاقَبَ أَبْقَاكَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةَ الْكَبِيرَةِ وَعَلَى الْهَفْوَةِ عُقُوبَةَ

الإِصْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَىَ فِى الظُّلْمِ وَمَنْ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الأَسَافِلِ وَالأَعَالِى وَالأَدَانِى والأَقَاصِى فَقُ قَصَّرَ. وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرَفَ الرِّضَى مَخَافَةَ أَنْ يُؤَدِّىَ إِلَى سَرَفِ الْهَوَى فَمَا ظَنُّكَ بِسَرَفِ الْغَيْظِ وَغَلَبَةِ الْغَضَبِ مِنْ طَيَّاشٍ عَجُولٍ فَحَّاشٍ وَمَعَهُ مِنَ الْخُرْقِ بِقَدَرِ قِسْطِهِ مِنَ الْتِهَابِ الْحَمْرَاءِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ وَكَذلِكَ جِنْسُكَ وَنَوْعُكَ إِلاَّ أَنَّ التَّأَثُّرَ فِى الرِّقَاقِ اسْرَعُ وَضِدُّهُ فِى الْغِلاَظِ الْجُفَاةِ أَكْمَلُ وَلِذلِكَ اشْتَدَّ جَزَعِى عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانِ الْغَيْظِ وَغَلَبَتِهِ. فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ الذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَانْظُرْ فِى عِلَّتِهِ وَفِى سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِى مِنْهُ نَجَمَ وَعُشِّهِ الَّذِى مِنْهُ دَرَجَ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِى التَّسَرُّعِ وَالثَّبَاتِ وَإِلَى حِلْمِهِ عِنْدَ التَّعْرِيضِ وَفِطْنَتِهِ عِنْدَ التَّوْبَةِ. فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ ضِيقَ صَدْرٍ مِنْ جِهَةِ الْفَيْضِ فِى الْمَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ الأَنَفَةِ وَغَلَبَةِ طِبَاعِ الْحَمِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْجَفْوَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ اسْتِحْقَاقِهِ أَوْ كَانَ مُبَلَّغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذلِكَ جَائِزًا فِيهِ غَيْرَ مُمْتَنِعٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هذَا الشَّكْلِ فَلَيْسَ يَقِفُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ وَلاَ يَنْظُرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ أُسَمِّيهِ بِكَثْرَةِ مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلْمِهِ وَعِلْمُهُ غَالِبًا عَلَى طِبَاعِهِ كَمَا أُسَمِّيهِ بِكَفِّ الْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَتَى وَجَدْتَ الذَّنْبَ بَعْدَ ذلِكَ لاَ

سَبَبَ لَهُ إِلاَّ الْبُغْضُ الْمَحْضُ وَالنِّفَارُ الْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ لِصَاحِبِهِ بِعِقَابِ دُونَ قَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنْ الْعُقَلاَءِ وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالَمٌ مِنَ الأَشْرَافِ. والأَنَاةُ أَقْرَبُ مِنَ الْحَمْدِ وَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ وَأَنْأَى مِنْ خَوْفِ الْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ الأَوَّلُ عَلَيْكَ بِالأَنَاةِ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْهُ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ الْغَضَبَ أَيَّامَ شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلاَّ صَرَعَهُ وَلاَ يُنَازِعُهُ قَبْلَ انْتِهَائِهِ إِلاَّ قَهَرَهُ وَإِنْضَمَا يُحْتَالُ لَهُ قَبْلَ هَيْجِهِ فَمَتَى تَمَكَّنَ وَاسْتَفْحَلَ وَأَذْكَى تَارَهُ وَأَشْعَلَ ثُمَّ لاَقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَمْعًا وَطَاعَةً فَلَوِ اسْتَبْطَنْتَهُ بِالتَّوْرَاةِ وَأَوْجَرْتَهُ بِالإِنْجِيلِ وَلَدَدْتَهُ بِالزَّبُورِ وَأَفْرَغْتَ عَلَى رَأْسِهِ الْقُرْآنَ إِفْرَاغًا وَأَتَيْتَهُ بِآدَمَ شَفِيعًا لَمَا أَقْصَرَ دُونَ أَقْصَى قُوَّتِهِ وَلَنْ يُسَكِّنَ غَضَبَ الْعَبْدِ إِلاَ ذِكْرُهُ غَضَبَ الرَّبِّ. فَلاَ تَقِفْ حَفِظَكَ اللهُ بَعْدَ مُضِيِّكَ فِي عِتَابِي التِمَاسًا لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلاَ تُقْصِرْ عَنْ إِفْرَاطٍ مِنْ طَرِيقِ الرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وَقْفَةَ مَنْ يَتَّهِمُ الْغَضَبَ عَلَى عَقْلِهِ وَالشَّيْطَانَ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَرَمِ اعْدَاءَ وَيُمْسِكُ إِمْسَاكَ مَنْ لاَ يُبَرِّئُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَلاَ يُبَرِّئُ الْهَوَى مِنَ الْخَطَاءِ وَلاَ تُنْكِرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَقْلِكَ أَنْ يَهْفُوَ فَقَدْ زَلَّ آدَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ. وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ الاَّ رَيْثَمَا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ ذِهْنُكَ وَتَرَى الْحِلْمَ وَمَا يَجْلُبُ مِنَ السَّلاَمَةِ وَطِيبِ الأُحْدُوثَةِ. وَاللهُ

يَعْلَـمْ وَكَفَى بِهِ عَلِيمًا لَقَدْ ارَدْتُ أَنْ أَقدِيَكَ بِنَفْسِـي فِي مُكَاتَبَاتِي وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِـي فِي عِدَادِ الْمَوْتَى وَفِي حِيِّزِ الْهَلْكَى فَرَأَيْتُ أَنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنَ اللُّؤْمِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنْ أَقْدِيَكَ بِنَفْسٍ مَيْتَةٍ وَانْ أَرِيَـكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذُخْـرٍ وَالذُّخْرُ مَعْدُومٌ. وَأَنَا أَقُولُ كَمَـا قَـالَ أَخُو ثَقِيفٍ مَوَدَّةُ الأَخِ التَّالِـدِ وَإِنْ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوَدَّةِ الأَخِ الطَّارِفِ وَإِنْ ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَاقَتْ جِدَّتُهُ سَلَّمَكَ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ.

وكتبَ بعضهم إلى أَميرٍ

أَنَا مَنْ لاَ يُحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ وَلاَ يُغَالِطُكَ فِي جُرْمِهِ وَلاَ يَلْتَمِسُ رِضَـاكَ إِلاَّ مِنْ جِهَةِ عَفْـوِكَ وَلاَ يَسْـتَعْطِفُكَ إِلاَّ بِالإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَلاَ يَسْتَمِيلُكَ إِلاَّ بِالإِعْتِرَافِ بِالزَّلَّةِ وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ[1].

مَـا أَحْسَـنَ الْعَفْـوَ مِنَ الْقَادِرِ
لاَ سِيَّمَا عَنْ غَيْـرِ ذِي نَاصِرِ

---

(١) هـو الحسـن بن وهب بن سـعيد بن عمـرو بن حصين الحارثـي أبو على كاتب من الشـعراء، كان معاصرًا لأبى تمام وله معه أخبار، وكان وجيهًا اسـتكتبه الخلفـاء ومدحه أبو تمام وهو أخو سـليمان "وزير المعتز والمهتدى" ولما مات سـنة ٢٥٠ هـ/ ٨٦٥ م رثاه البحترى.

انظر المزيد فى: سمط اللآلى ٥٠٦، فوات الوفيات ١/ ١٣٦.

إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٍ وَلاَ ذَنْبَ لِي
فَمَا لَهُ غَيْرَكَ مِنْ غَافِرِ
أَعُودُ بِالْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا
أَنْ يَفْسُدَ الأَوَّلُ بَالآخِرِ

وكتبَ ابنُ مكرَّم[1] إلى بعض الرؤَساءِ

نَبَتْ بِي غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجْرِبَةُ وَقَادَتْنِي الضَّرُورَةُ ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الصَّفْحِ عَنِّي فَرَاجِعْ فِيَّ مَجْدَكَ وَسُؤْدُدَكَ وَإِنِّي لاَ أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذَلَّ مِنْ مَوْقِفِي لَوْلاَ أَنَّ الْمُخَاطَبَةَ فِيهِ لَكَ لاَ خُطَّةَ أَدْنَأَ مِنْ خُطَّتِي لَوْلاَ أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ.

وكَتبَ أبو بكرٍ الخُوارَزميَّ إلى على البعلى لما طال عتابهُ وكثرت رِقاعهُ إليهِ

لَوْ بِغَيْرِ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ
كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي

---

(١) هو على بن الحسين بن مكرم أبو القاسم ناصر الدين، مؤيد الدولة ابن ناصر الدولة من ملوك عمان. كان جواداً مدحه مهيار الديلمى.

كَيْفَ يَقْدِرُ أَبْقَى اللهُ الشَّيْخَ عَلَى الدَّوَاءِ مِنْ لاَ يَهْتَدِى إِلَى أَوْجُهِ الـدَّاءِ وَكِيْفَ يُـدَارِى أَعْدَاءَهُ مَنْ لاَ يَعْـرِفُ الأَصْدِقَاءَ مِنَ الأَعْدَاءِ وَكِيْـفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ الْقَرْحَةِ الْعَمْيَاءِ أَمْ كَيْفَ يَسْـرِى بِلاَ دَلِيلٍ فِى الظَّلْمَاءِ أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الأَرْضِ وَالسَّـمَاءِ. أَلْكَرِيمُ أَيَّدَ اللهُ الشَّـيْخَ إِذَا قَدَرَ غَفَرَ وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ وَإِذَا أَسَرَ أَعْتَقَ وَلَقَدْ هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ حَيَاتِى وَمَمَاتِى بِيَدَيْهِ فَلْيُذِقْنِى حَلاوَةَ رِضَاهُ عَنِّى كَمَا أَذَاقَنِى مَرَارَةَ انْتِقَامِهِ مِنِّى وَلْتَلُحْ عَلَى حَالِهِ غُرَّةُ عَفْوِهِ كَمَا لاَحَتْ عَلَيْهَا مَوَاسِـمُ غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ وَتَبْعَلَمْ أَنَّ الْحُرَّ كَرِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّئِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَـالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّئِيـمَ لَئِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ اسْـتَطَالَ وَلْيَغْتَنِمِ التَّجَـاوُزَ عَنْ عَثَرَاتِ الأَحْرَارِ وَلْيَنْتَهِزْ فُرَصَ الإِقْتِدَارِ وَلْتَحْمَدِ اللهَ الَّذِى اقَامَهُ مُقَامَ مَنْ يُرْتَحَى وَيُخْشَى وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِى رُتْبَةٍ شَابَ الزَّمَانُ وَمَجْدُهَا فَيٌّ وَأَخْلَقَ الْعَالَمُ وَذِكْرُهَا طَرِىٌّ فَجَعَلَهُ فِى الْمِيلادِ كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِى الرُّتْبَةِ قُدْرَتَهَا وَجَلِيلَهَا وَلْيَعْتَقِدْ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مَنِ اسْـتَتَرَ وَلَمْ يُذْنِبْ إِلَيْهِ مَنِ اعْتَذَرَ وَأَنَّ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ إِلَى الشَّجَاعَةِ بَعْدَ الْجُبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْيَقِينِ مِنْ سُـتْرَةِ الظَّنِّ وَفَّقَ اللهُ الشَّيْخَ لِمَا يَحْفَظُ عَلَيْهِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَعَصَمَهُ

مِمَّـا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدِّ جَمَاجِمِ أَعْدَآئِـهِ وَلَيْسَ بَيْنَ الْمُوَالاَةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلاَّ لُقْيَةٌ بَشِيعَةٌ أَوْ لِفْظَةٌ قَذِعَةٌ.

ولصحبهِ إِلى بعض اصفيائهِ

مَازِلْتُ أُدَافِعُ النَّفْسَ فِيمَا تَتَقَاضَانِي مِنْ شَـكْوَى أَشْوَاقِهَا وَفِي الشَّـكْوى شِفَاءٌ وَاسْتِنْزَالِ أَثَرٍ مِنْ لَدُنْكَ تَتَعَلَّلُ بِهِ مَسَافَةَ الْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللهُ بِاللِّقَاءِ وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا مَشَـادِةُ قَدْ شَـغَلَتِ الذَّرْعَ وَشَوَاغِلُ قَدْ فَرَغَ مِنْ دُونِهَا الْوَسْعُ إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ الْوَجْدِ عَلَى مَعَاقِـلِ الصَّبْرِ وَرَاحَـمَ مَنَاكِبَ الْعُدَوَاءِ حَتَّى ضَـرَبَ أَطْنَابَهُ بَيْنَ الْحِجَابِ وَالصَّدْرِ فَاتَّخَذْتُ هـذِهِ الرُّقْعَةَ أَزَجِّيهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وَقْرِ السُّـوْقِ مَا يَنُوءُ بِرَسُولِهَا وَمِنْ رِقَّةِ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يُخَلِّفُهَـا فَيُصَافِحُ الأَعْتَابَ قَبْلَ وُصُولِهَـا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِمَا عُهِدَ فِي سَـيِّدِي مِنَ الطَّلاَقَةِ وَالْبِشْـرِ وَأَنْ لاَ يَضَنَّ عَلَيْهَا بِمَا عَوَّدَنِـي مِنْ تَمْهِيدِ الْعُذْرِ وَيَصِلَنِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَائِهِ الطَّيِّبَةِ عَائِدَةً عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّاظِرِ قُرَّةً وَلِلْخَاطِرِ مَسَرَّةً إِنْ شَاءَ اللهُ.

ولهُ أيضًا

وَافَانِي كِتَابُكَ الْعَزِيزُ وَالنَّفْسُ نَازِعَةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ نِفَارَهَا وَالْقَرِيحَةُ تَائِقَـةٌ إِلَى مَا يَشْـحَذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةً بَاسِمَـةَ الْكَمَائِمِ فَاتِحَةَ

النَّسَائِمِ قَدْ رَدَّتْ عَلَى النَّفْسِ انْبِسَاطَهَا وَأَحْيَتِ الْبَادِرَةَ فَاسْتَأْنَفَتْ نَشَاطَهَا فَأَنَا مِنْهُ مَا بَيْنَ وَشْيٍ يُخْجِلُ طِرَازَ الْعَبْقَرِيَّةِ وَزَخْرُفٍ دُونَهُ نَضْرَةُ السَّابِرِيَّةِ تُنَاجِينِي مِنْهُ رَشَاقَةُ أَلْفَاظٍ تَفْضَحُ قُدُودَ الْحِسَانِ وَغَضَاضَةُ أَنْفَاسٍ يَغَارُ مِنْهَا وَرْدُ الْجِنَانِ وَرِقَّةُ خِطَابٍ يَشِفُّ عَنْ وُدٍّ صَفِيٍّ وَلُطْفٍ حَفِيٍّ وَكَرَمٍ وَفِيٍّ وَعَتْبٍ أَعْذَبَ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَاحِ وَأَرَقَّ مِنْ نَسَمَاتِ الصَّبَا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى لَقَدْ حَبَّبَ إِلَيَّ تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قَبُولِ مَعَاذِيرِي عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي مِنَ الْوَلاَءِ لاَ يَعْتَزِيهِ مَعَاذَ اللهِ وَهَنٌ وَلاَ يُخْلِقُهُ تَمَادِي زَمَنٍ أَوْ تَرَامِي وَطَنٍ وَلَكِنَّ صُرُوفَ الأَحْدَاثِ قَدْ قَصَّرَتِ الْجُهْدَ وَصَرَفَتْ جَوَادَ الْعَزِيمَةِ عَنِ الْقَصْدِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ الدَّهْرِ وَلَمْ أُدَافِعْ طَلاَئِعَهَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سَاقَةِ الصَّبْرِ لَمَا كَانَ فِي هِمَّتِي إِلاَّ كَسْرُ الْبَرَاعِ وَهَجْرُ الْمَحَابِرِ وَالرِّقَاعِ وَحَسْبِي مِنَ الْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ حِلْمِكَ الْمَأْلُوفِ وَمَا أَلِفْتُهُ مِنْ كَرَمِكَ الْمَعْرُوفِ وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُبْقِيَكَ لِي مِنَ الدَّهْرِ تَصِيبًا وَيُمَتِّعَنِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

ولهُ أيضًا

بِمَ يَعْتَذِرُ الَيْكَ مَنْ لاَ يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا وَكَيْفَ يَسْتَتِرُ مِنْ عَتْبِكَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ لِذَنبِهِ سَتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعَتْبِ تَعْنِيفُ

نَفْسِـى عَلَى مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبِعَةِ تَقْصِيرِى وَمَا حُلْتُ بِهِ مِنَ التَّفْرِيـطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَانِيرِى وَاللهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ تَقْصِيرِى شَـيْئًا أَرَدْتُهُ وَلاَ كَانَ تَفْرِيطِى أَمْرًا قَصَدْتُهُ وَلِكِنَّهَا الأَيَّامُ إِنْ صَاحَبْتَهَا لَمْ تُصْحِـبْ وَإِنْ عَاتَبْتَهَا لَمْ تُعْتِبْ فَلَقَدْ عَبِرَتْ بِى هذِهِ الْبُرْهَةُ كُلُّهَا وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلَ لاَ يَشْغَلُهَا عَنِّى شَاغِلٌ وَبَلاَبِلَ قَدِ اخْتَلَطَ حَابِلُهَا بِالنَّابِـلِ فَنَازَعْتُهَا هذِهِ النُّهْزَةَ الْيَسِـيرَةَ أُجَدِّدُ فِيهَا صِلَةَ التَّذْكِرَةِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللهُ بِصِلَةِ الْحَبْلِ وَاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ وَأَسْتَنْزِلُ أَحْرُفًا مِنْ خَطِّـكَ يَكْتَحِلُ بِهَا النَّاظِرُ وَيَأْنَسُ إِلَيْهَا الْخَاطِرُ مُتَوَقِّعًا بَعْدَ ذلِكَ أَنْ أَبْقَـى بَيْنَ يَـدَىْ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ لاَ يَكُـونَ عَجْزِى لَدَيْكَ شَـيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تَجْرِىَ بِى عَلَى عَادَةِ حِلْمِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ وَيُغْنِىَ الْعَيْنَ عَنِ الأَثَرِ بِالْعَيْنِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

فَصْلٌ

فِى الْعِتَابِ

كتب أبو الفضلِ بديعُ الزمانِ الهَمَذانىُّ إلى أبى جعفرٍ الميكالىِّ[1]

لَئِنْ سَـاءَنِى أَنْ نِلْتِنِى بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَـرَّنِى أَنِّى خَطَرْتُ بِبَالِكِ الأَمِـيرِ أَطَـالَ اللهُ بِقَاءَهُ إِلَى آخِـرِ الدُّعَاءِ فِى حَالَىْ بِـرِّهِ وَجَفَائِهِ مُتَفَضِّـلٌ وَفِى يَوْمَىْ إِدْنَائِهِ وَإِبْعَادِهِ مُحْسِـنٌ وَهَنِيئًا لَهُ مِنْ حِمَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ عُرَانَا مَا يَحُلُّهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا مَا يَسْتَحِلُّهُ بَلَغَنِى أَنَّهُ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ اسْتَزَادَ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ أَظُنُّنِى مَجْبِيًّا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ

---

(١) هـو عبيد الله بن أحمد بن على الميكالى أمير من الكتاب الشـعراء من أهل خراسان صنف الثعالبى "ثمار القلوب" لخزانته وأورد فى "يتيمة الدهر" محاسن من نثره ونظمه ومختارات من كتابه "المخزون" المستخرج من رسائله وسماه صاحب فـوات الوفيات "عبد الرحمن بن أحمد" وأورد من شـعره مـا يوافق بعضه ما فى اليتيمـة مما يؤكد أنهما شـخص واحد، وذكر له مـن المؤلفات "مخزون البلاغة" و"المنتحل" و "ملح الخواطر ومنح الجواهر" و "ديوان رسائله" و"ديوان شعره" مات سنة ٤٣٦ هـ/ ١٠٤٥ م.

انظـر المزيد فى: ثمار القلـوب ٣ و ٣٦، يتيمة الدهر ٤/ ٢٤٧ – ٢٦٨. فوات الوفيات ٢/ ٢٥ – ٢٧، اللباب ٣/ ٢٠٢.

فإذَا أَنَا فِى قَرَارَةِ الذَّنْبِ وَمَشَارَةِ الْعَتْبِ وَلَيْتَ شِعْرِى أَىُّ مَحْظُورٍ فِى الْعِشْـرَةِ حَضَرْتُـهُ أَوْ مَفْرُوضٍ مِنَ الْخِدْمَـةِ رَفَضْتُهُ أَوْ وَاجِبٍ فِى الزِّيَارَةِ أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ إلاَّ ضَيْفًا أَهْدَاهُ مَنْزِعٌ شَاسِـعٌ وَأَدَّاهُ أَمَلٌ وَاسِـعٌ وَحَدَاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قَلَّ وَهَدَاهُ رأْىٌ وَإِنْ ضَلَّ ثُمَّ لَمْ يُلْقِ إلاَّ فِى آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ وَلَمْ يَصِلْ إلاَّ بِهِمْ حَبْلَهُ وَلَمْ يَنْظِمْ إلاَّ فِيهِمْ شِعْرَهُ وَلَمْ يَقِفْ إلاَّ عَلَيْهِمْ شُكْرَهُ ثُمَّ بَعُدَتْ صُحْبَةٌ إلاَّ دَنَتْ مَهَانَةٌ وَلاَ زَادَتْ حُرْمَةٌ إلاَّ نَقَصَتْ صِيَانَةٌ وَلاَ تَضَاعَفَتْ مِنَّةٌ إلاَّ تَرَاجَعَتْ مَنْزِلَـةٌ حَتَّى صَارَ وَابِلُ الإِعْظَامِ قَطْرَةً وَعَـادَ قَمِيصُ الْقِيَامِ صُدْرَةً وَدَخَلْتُ مَجْلِسَـهُ وَحَوْلَهُ مِنَ الأَعْدَاءِ كَتِيبَـةٌ فَصَارَ ذلِكَ التَّقْرِيبُ ازْوِزَارًا وَذلِـكَ السَّـلاَمُ اخْتِصَارًا وَالإِهتِزَازُ إِيمَاءً وَالْعِبَارَةُ إِشَـارَةً وَحِـينَ عَاتَبْتُهُ آمَـلُ إِعْتَابَهُ وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ وَسَـأَلْتُهُ أَرْجُو إِيجَابَهُ أَجَابَ بِالسُّـكُوتِ فَمَـا ازْدَدْتُ لَهُ إلاَّ وَلاَءً وَعَلَيْهِ إلاَّ ثَنَاءً لاَ جَرَمَ أَنَّى الْيَوْمَ أَبْيَضُ وَجْهِ الْعَهْدِ وَاضِحُ حُجَّةِ الْوُدِّ طَوِيلُ لِسَانِ الْقَوْلِ حُكْمِ الْعُذْرِ وَقَدْ حَمَّلْتُ فُلاَنًا مِنَ الرِّسَـالَةِ مَا تَجَافَى الْقَلَمُ عَنْهُ وَالأَمِيرُ الرَّئِيس أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ يُنْعِمُ بِالإِصْغَاءِ لِمَا يُورِدُهُ مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ولهُ إلَى القاسم الكرجىِّ

أَنَا أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّـيْخِ سَـيِّدِى وَمَـوْلاَىَ وَإِنْ لَمْ أَلْقَ تَطَاوُلَ

الإِخْـوَانِ وإلاَّ بالتَّطَـوُّلِ وَتَحَامُلَ الأَحْرَارِ إلاَّ بالتَّحَمُّلِ أُحَاسِـبُ الشَّـيْخَ أَيَّـدَهُ اللهُ عَلَى أَخْلاَقِـهِ ضَنًّا بِمَا عُقِدَتْ يَـدِى عَلَيْهِ مِنَ الظَّـنِّ بِهِ وَالتَّقْدِيرِ فِـى مَذْهَبِهِ وَلَوْلاَ ذلِكَ لقُلْتُ فِى الأَرْضِ مَجَالٌ إِنْ ضَاقَـتْ ظَلاَلُكَ وَلَوْلاَ ذلِكَ لقُلْتُ فِى الأَرْضِ مَجَالٌ إِنْ ضَاقَتْ ظِلاَلُكَ وَفِى النَّاسِ وَاصِـلٌ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَأُؤَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ فَإِنْ النَّاسِ وَاصِـلٌ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَأُؤَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ فَإِنْ أَعَارَتِى أُذُنًا وَاعِيَةً وَنَفْسًـا مُرَاعِيَةً وَقَلْبًا مُتَّعِظًا وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَنُزُوعًا عَنْ هـذَا الْبَابِ الَّذِى يَقْرَعُهُ وَنُزولاً عَنِ الصَّعُودِ الَّذِى يَفْرَعُهُ فَرَشْـتُ لِمَوَدَّتِهِ خِوَانَ صَدْرِى وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَصْرِى وَمجَامِعَ عُمْرِى وَإِنْ رَكِبَ مِنَ التَّعَالِى غَيْرِ مَرْكَبِهِ وَذَهَبَ مِنَ التَّغَالِى فِى غَيْرِ مَذْهبِهِ أَقْطَعْتُهُ خِطَّةَ أَخْلاَقِهِ وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ إِعْرَاضِهِ وَانْكَفَأْتُ:

لاَ أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْـمُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ

فَإِنَّى وَإِنْ كُنْتُ فِى مُقْتَبِلِ السِّنِّ وَالْعُمْرِ قَدْ حَلَبْتُ شَطْرَىِ الدَّهْرِ وَرَكِبْتُ ظَهْرَىِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَلَقِيتُ وَفْدَىِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَصَافَحْتُ يَدَىِ النَّفْعِ وَالضُّرِّ وَضَرَبْتُ إِبْطَىِ الْعُسْـرِ وَالْيُسْـرِ وَبَلَوْتُ طَعْمَىِ الْحُلْوِ وَالْمُرِّ وَرَضِعْتُ ضَرْعَىِ الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ فَمَا تَكَادُ الأَيَّامُ تُرِينِى مِنْ أَفْعَالِهَا غَرِيبًا وَتُسْـمِعُنِى مِنْ أَخْوَالِهَـا عَجِيبًا وَلَقِيتُ الأَفْوَادَ

وَطَرَحْتُ الأَحَادَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إلاَّ مَلأْتُ حَافَتَىْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَشَغَلْتُ حَيِّزَىْ فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَأَثْقَلْتُ كَتِفَهُ فِى الْخَزْنِ وَكِفَّتَهُ فِى الْوَزْنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ الْقِرْنُ صَحِيفَتِى أَوْ لَقِىَ صَفِيحَتِى فَمَا لِى صَغُرْتُ هذَا الصِّغَرَ فِى عَيْنِهِ وَمَا الَّذِى أَزْرَى بِى عِنْدَهُ حَتَّى احْتَجْتُ وَقَدْ قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ حَضَرْتُهُ أَنَا أُحَاشِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ أَوْ تَجْحَدَ فَضْلَ الْعِلْمِ أَوْ يَمْتَطِىَ ظَهْرَ التِّيهِ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَخْتَصَّنِى مِنْ بَيْنِهِم بِفَضْلِ إِعْظَامٍ إِنْ زَلَّتْ بِى مَرَّةً قَدَمٌ فِى قَصْدِهِ وَكَأَنِّى بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهذِهِ الْمُخَاطَبَةِ الْمُحْجِفَةِ وَالرُّتْبَةِ الْمُتَحَيِّفَةِ وَهُوَ فِى جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرٌ فَإِنْ أَقْلَعَ عَنْ عَادَتِهِ وَنَزَعَ عَنْ شِيمَتِهِ فِى الْجَفَاءِ فَأَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الأُسْتَاذِ الْفَاضِلِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ.

ولهُ إلى بعض أصدقائهِ

أَلْوَحْشَةُ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ تَقْتَدِحُ فِى الصَّدْرِ أَقْتِدَاحَ النَّارِ فِى الزَّنْدِ فَإِنْ أُطْفِئَتْ بَارَتْ وَتَلاَشَتْ وَإِنْ عَاشَتْ طَارَتْ وَطَاشَتْ وَالْفَطْرُ إِذَا تَدَارَكَ عَلَى الإِنَاءِ امْتَلأَ وَفَاضَ وَالْعُتُّ إِذَا تُرِكَ فَرَّخَ وَبَاضَ وَنَحْنُ أُلُو هذِهِ الصَّنْعَةِ لاَ يَطْرُدُنَا سَوْطٌ كَالحَفَا وَلاَ يَعْقِلُنَا شَرَكٌ كَالنَّدَى ثُمَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ نَنْظُرُ مِنْ عَالٍ عَلَى الْكَرِيمِ نَظَرَ إِدْلاَلٍ وَعَلَى اللَّئِيمِ نَظَرَ إِذْلاَلٍ فَمَنْ لَقِينَا بِأَنْفٍ طَوِيلٍ لَقِينَاهُ بِخُرْطُومِ فِيلٍ وَمَنْ لَحَظَنَا بِنَظَرٍ شَزْرٍ بِعْنَاهُ بِثَمَنٍ نَزْرٍ وَعِنْدِى أَنَّ

الشَّـيخَ الرَّئيسَ لَمْ يَغْرِسْـنِي لِيُقْطِعَنِي فَتَاهُ وَلاَ اشْتَرَانِي لِيَبِيعَنِي سِوَاهُ وَيْحَكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ الْغَدَاةَ فَرَدَّ جَوَابًا يَرُدُّ. مِثْلَهُ عَلَى الْوُكَلاَءِ بِشَـطْرِ الإِيمَاءِ وَاقْتَصَرَ مِنَ الْبَشَاشَـةِ عَلَى تَحْرِيكِ الشَّاشَـةِ وَمِنَ الإِقْبَـالِ عَلَى تَعْوِيجِ السَّـبالِ وَعَهْدِى بِذلِكَ الرَّئِيـسِ يَخْرُقُ إِلَىَّ بِسـاطَهُ عَدْوًا وَسِمَاطَهُ حَبْوًا فَهذَا الْفَاضِـلُ أَجَلُّ مِنْ وَالِدِهِ الْفَقِيهِ أَيَّدَهُ اللهُ يُوصِيهِ بِحُسْنِ الْعِشْرَةِ مَعِى مِنْ بَعْدُ فَلِلتَّبِهِ يَوْمٌ وَلِلْجَبَرُوتِ قَـوْمٌ وَمَا أُرِيدُ بَعْدَ هذَا الإِعْتَابِ إِعْتَابًا وَلاَ عَنْ هذِهِ الرُّقْعَةِ جَوَابًا فَإِنِّى لاَ أُمَكِّنُهُ بَعْدَهَا مِنْ أَنْ يَسْـتَهِينَ وَلاَ أُسَلِّمُ عَلَيهِ حَتَّى يُهِينَ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وكتبَ الجاحظُ إلى قليبٍ المغربىّ

وَاللهِ يَـا قَلِيبُ لَـوْلاَ أَنَّ كَبِدِى فِـى هَوَاكَ مَقْرُوحَـةٌ وَرُوحِى بِكَ مَجْرُوحَةٌ لَسَـاجَلْتُكَ هذِهِ الْقَطِيعَةَ وَمَادَدْتُـكَ حَبْلَ الْمُصَارَمَةِ وَأَرْجُـو أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُدِيـلُ صَبْرِى مِنْ جَفَائِكَ فَيَرُدُّكَ إِلَى مَوَدَّتِى وَأَنْـفُ الْقِلَى رَاغِمٌ فَقَدْ طَالَ الْعَهْـدُ بِالإِجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَنَاكَرُ عِنْدَ الإِلْتِقَاءِ.

وكتب بعضهم

لَوْ كَانَتْ الشُّـكُوكُ تَخْتَلِجِنِى فِى صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ

وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَاحْتِبَاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي وَلَكِنَّ الثِّقَةَ بِمَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يُقَبِّحُهُ جَنَاؤُكَ وَاللهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ.

وكتبَ آخَرُ إلى بعضِ إخوانهِ

أَلْهَمَكَ اللهُ مِنَ الرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْفَضْلِ لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَازَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلَّدْنَاهُ عِنَانَ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى بِالذَّنْبِ مِنْهُ وَلَكِنْ نَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَنَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ.

وكتبَ عبدُ اللهِ بنُ معاويةَ بن عبدِ الله بنِ جعفرٍ ذى الجناحين[1] إلى بعضِ إخوانهِ

(١) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب من شجعان الطالبيين وأجوادهم وشعرائهم، يتهم بالزندقة. وكان فتاكا سيء الحاشية، طلب الخلافة فى أواخر دولة بنى أمية سنة ١٢٧ هـ بالكوفة وبايع له بعض أهلها وخلعوا طاعة بنى مروان وأتته بيعة المدائن، ثم قاتله عبد الله بن عمر والى الكوفة فتفرق عنه أصحابه سنة ١٢٨ هـ فخرج إلى المدائن ولحق به جمع من أهل الكوفة فغلب بهم على حلوان والجبال وهمذان وأصبهان والرى وقصده بنو هاشم كلهم حتى أبو جعفر "المنصور" واستفحل أمره، فجبى له خراج فارس وكورها وأقام باصطخر فسير أمير العراق "ابن هبيرة" الجيوش لقتاله. فصبر لها، ثم انهزم إلى شيراز، ومنها إلى هراة، فقبض عليه عاملها وقتله خنقًا سنة ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م بأمر أبى مسلم الخراسانى: وضع الفراش على وجهه فمات وقيل مات فى سجن أبى مسلم سنة ١٣١ هـ وصاحب البيت المشهور: =

أَمَّـا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي الشَّـكُّ فِي أَمْرِكَ عَـنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ ابْتَدَأْتَـنِي بِلُطْفٍ عَـنْ غَيْرِ خِـبْرَةٍ وَأَعْقَبْتَهُ جَفَاءً مِـنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَطْمَعَنِي أَوَّلُكَ فِي إِخَائِكَ وَأَيْأَسَـنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ فَسُـبْحَانَ مَنْ لَوْ شَـاءَ لَكَشَـفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ فَأَقْمَنَا عَلَى ائْتِلَافٍ وَافْتَرَقَنَا عَلَى اخْتِلَافٍ.

وكتبَ أحمدُ بنُ يوسف[1] إلى بَعضهم

لَـوْلاَ حُسْـنُ الظَّنِّ بِـكَ أَعَزَّكَ اللهُ لَـكَانَ فِـي إِغْضَائِكَ عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلِبَةِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَمْسَـكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عِلْمِي بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْـطِ يَدِكَ إِلَى الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ

= وعين الرضـا عـن كـل عيـب ولكن عين السخط تبدى المساويا

انظـر المزيد فـي: مقاتل الطالبيين ١٦١ – ١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٢١، تاريـخ الطـبرى ٥/ ٥٩٩ ثم ٦/ ٣٨، لسـان الميـزان ٣/ ٣٦٣، الخطط ٢/ ٣٥٣، التبريزى ٣/ ١٠٢. سرح العيون ١٩٣.

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلى الولاء المعروف بالكاتب. وزير من كبار للكتاب من أهل الكوفة ولى ديوان الرسـائل للمأمون، واسـتوزره بعد أحمد بن أبى خالد الأحول وتوفى ببغداد سنة ٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م وكان فصيحًا قوى البديهة يقول الشعر الجيد. له رسائل مدونة وهو صاحب البيت المشهور:

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه فصدر الذى يستودع السّر أضيق

انظـر المزيد فى: تاريخ بغـداد ٥/ ٢١٦، الوزراء والكتاب ٣٠٤، معجم الأدباء ٢/ ١٦٠. البدايـة والنهايـة ١٠/ ٢٦٩. النجـوم الزاهـرة ٢/ ٢٠٦، أمراء البيان ١/ ٢١٨ – ٢٤٣.

يَكُنْ لَهُ إِلاَّ كَرَمُكَ مُذَكِّرًا وَسُؤْدَدُكَ شَافِعًا.

وكتبَ العنابيُّ[1] إلى بعض اخوانهِ

لَو اعْتَصَمَ شَـوْقِي إِلَيْكَ بِمِثْلِ سُلُوِّكَ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَلَمْ أَتَجَشَّـمْ مَرَارَةَ تَمَادِيكَ وَلكِن اسْتَخَفَّتْنَا صَبَابَتُنَا فَاحْتَمَلْنَا قَسْوَتَكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوَدَّتِكَ وَأَنْتَ أَحَقُّ مَن اقْتَصَّ لِصِلَتِنَا مِنْ جَفَائِهِ وَلشَوْقِنَا مِنْ إِبْطَائِهِ .

وكتبَ أبو بكرٍ الخُوارَزمىُّ إِلى صديقٍ لهُ لما تخلص من يد محمد بن إبراهيم

كِتَابِي وَقَد خَرَجْتُ مِنَ الْبِلاَءِ خُرُوجَ السَّيْفِ مِنَ الْجِلاَءِ وَبُرُوزَ الْبَدْرِ مِنَ الظَّلْمَاءِ وَقَدْ فَارَقَتْنِي الْمِحْنَةُ وَهِيَ مُفَارِقٌ لاَ يُشْـتَاقُ إِلَيْهِ

---

(١) هـو كلثـوم بن عمرو بن أيوب التغلبى أبو عمرو من بنى عتاب بن سـعد، كاتب حسـن الترسل، وشاعر مجيد يسـلك طريقة النابغة يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشـاعر وهو من أهل الشـام وسـكن بغداد، فمدح هارون الرشـيد وآخرين ورمى بالزندقة، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن، فسعى الفضل بن يحيى البرمكي بأخـذ الأمان له من الرشـيد فأمنه. وعاد فاختص بالبرامكـة ثم صحب طاهر بن الحسـين وصنف كتبًا منها "فنون الحكم" و "الآداب" و "الخيل" و "الأجواد" و "الألفاظ" مات سنة ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م.

انظر المزيد فى: إرشـاد الأريب ٦/ ٢١٢، فوات الوفيات ٢/ ١٣٩، المزربانى ٣٥١، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٨٨، الشـعر والشـعراء ٣٦٠، اللباب ٢/ ١١٨، الموشح ٢٩٣ – ٢٩٥.

وَوَدَّعَتْنِـــي وَهِي مُوَدِّعٌ لاَ يُبْكَى عَلَيْهِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ تَعَالَى عَلَى مِحْنَةٍ يُجَلْبِهَا وَنِعْمَـــةٍ يُنِيلُهَا وَيُولِيهَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَمْسِ كِتَابَ الشَّـيْخِ بِالتَّسْـلِيَةِ وَالْيَـوْمَ بِالتَّهْنِيَةِ فَلَمْ يُكَاتِبْنِي فِي أَيَّـام الْبُرَحَاءِ بِأَنَّهَا غَمَّتْهُ وَلاَ فِي أَيَّام الرَّخَاءِ بِأَنَّهَا سَرَّتْهُ وَقَدِ اعْتَذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي وَجَادَلْـتُ عَنْهُ قَلْبِي فَقُلْتُ أَمَّا تَغَافُلُهُ عَنِ الأُخْرَى فَلأَنَّهُ شَـغَلَهُ الإِهْتِمَـامُ بِهَـا عَنِ الْكَلاَمِ فِيهَـا وَأَمَّا تَغَافُلُهُ عَـنِ الأُخْرَى فَلأَنَّهُ شَـغَلَهُ الإِهْتِمَـامُ بِهَا عَنِ الْـكَلاَمِ فِيهَا وَأَمَّا تَغَافُلُـهُ عَنِ الأُخْرَى فَلاِنَّهُ شَـغَلَهُ الإِهْتِمَـامُ بِهَا عَنِ الْكَلاَمِ فِيهَا وَأَمَّـا إِخْلاَلُهُ بِالأُولَى فَلأَنَّهُ شَغَلَهُ الإِهْتِمامُ بِهَا عَنِ الْكَلاَمِ فِيهَا وَأَمَّا تَغَافُلُهُ عَنِ الأُخْرَى فَلأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يُوَفِّرَ عَلَىَّ مَرْتَبَةَ السَّـابِقِ إِلَى الإِبْتِدَاءِ وَيَقْتَصِرَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَحْفُوفَةً بِى مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ الإِعْتِذَارَ عَنْ سَـيِّدِى فَلْيَعْرِفْ لِى حَقَّ الإِحْسَـانِ وَلْيَكْتُبْ إِلَىَّ بِالإِسْتِحْسَانِ وَإِنْ كُنْتُ أَسَأْتُ فَلْيُخْبِرْنِى بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ أَعْرَفُ مِنِّى بِسِرِّهِ وَلْيَرْضَ مِنِّى بِأَنِّى حَارَبْتُ عَنْهُ قَلْبِى وَاعْتَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ ذَنْبِى وَقُلْتُ يَا نَفْسِ اعْذِرِى أَخَاكِ وَخُذِى مِنْهُ مَا أَعْطَاكِ فَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِي التَّنَصُّلِ

كتب ابنُ الرُّومىِّ إلى القاسم بنِ عبيد الله[1]

تَرَفَّعْ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَفَضَّلْ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا فَوَاللهِ إِنِّي لأَطْلُبُ عَفْوَ ذنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ وَأَلْتَمِسُ الإِقَالَةَ مِمَّا لاَ أَعْرِفُهُ لِتَزْدَادَ تَطَوُّلاً وَأَزْدَادَ تَذَلُّلاً وَأَنَا أُعِيذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا وَأَحْرُسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُحَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدْرِ وُدِّي لَكَ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ أَسْتَحِقُّ مِنْكَ.

وكتبَ آخر إلى بعضهم

أَنْتَ أَعَزَّكَ اللهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَارِيَنِي بِالسُّوءِ

---

(١) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي وزير من الكتاب الشعراء له غزل رقيق. استوزره المعضد العباسي بعد أبيه عبد الله سنة ٢٨٨ هـ ولما مات المعتضد سنة ٢٨٩ هـ قاسم القاسم بأعباء الخلافة وعقد البيعة للمكتفي في غيبته بالرقة وزر له. وكان مولده سنة ٢٥٨ هـ/ ٨٧٢م ومات سنة ٢٩١ هـ/ ٩٠٤م.
انظر المزيد في: المرزباني ٢٣٧.

عَلَى ذَنْبٍ لَمْ اجْنِهِ بِيَدٍ وَلاَ لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَيَّ لِسَانُ وَاشٍ. فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لاَ تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ وَأَرْعَى لِحُقُوقِهِ وَأَرْعَى لِحُقُوقِهِ وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِذِمَّتِهِ مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤَمِّلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا الْتَمَسَهُ وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لهُ.

وكتبَ بديعُ الزمانِ الهمذانى إلى أبى على بن مشكوَبه

وَيَا عَزَّ إِنْ وَاشٍ وَشَى بِيَ عِنْدَكُمْ
فَلاَ تُمْهِلِيهِ أَنْ تَقُولِى لَهُ مَهْلاَ
كَمَا لَوْ وَشَى وأشٍ بِعَزَّةَ عِنْدَنَا
لَقُلْنَا تَزَحْزَحْ لاَ قَرِيبًا وَلاَ أَهْلاَ

بَلَغَنِى أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ أَنَّ عَقْرَبَ الشَّرِّ دَبَّتْ إِلَيْهِ بِأَحَادِيثَ لَمْ يُعِرْهَا الْحَقُّ نُورَهُ وَلاَ الصِّدْقُ ظُهُورَهُ وَأَنَّهُ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ أَذِنَ لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذْنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِنَاءَ ظَنِّهِ وَمَعَاذَ اللهِ أَنْ أَقُولَهَا وَأَسْتَجِيزَ مَعْقُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ عِتَابٌ لاَيَتَعَدَّى النَّفْسَ وَضَمِيرَهَا وَحَدِيثٌ لاَ يَعْرِفُ الشَّفَةَ وَسَمِيرَهَا وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا عِتَابُ لَحْظَةٍ كَعِتَابِ حَجْظَةَ فَسُبْحَانَ مَنْ رَبَّى هذَا الأَمْرَ حَتَّى صَارَ أَمْرًا وَتَأَبَّطَ شَرًا وَأَوْجَبَ عُذْرًا وَأَوْحَشَ حُرًّا

وَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ الْعَدُوِّ أُشِيمُ عَلَيْهِ لَكِن مَنْ بُلِيَ مِنَ الأَعْدَاءِ بِمِثْلِ مَا بُلِيتُ وَرُمِيَ مِنَ الْحَسَدِ بِمَا رُمِيتُ وَوَقَفَ مِنَ التَّوَحُّدِ وَالْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ اعْتَذَرَ مَظْلُومًا وَضَحِكَ مَشْتُومًا وَلَوْلاَ أَنَّ الْعُذْرَ إِقْرَارٌ بِمَا قِيلَ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقِيلَ لَبَسَطْتُ فِي الإِعْتِذَارِ شَاذَرْوَانًا وَدَخَلْتُ فِي الاسْتِقَالَةِ مَيْدَانًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضَعْ أَوَّلَهُ وَدَخَلْتُ فِي الإِسْتِقَالَةِ مَيْدَانًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضَعْ أَوَّلَهُ فَلَمْ أَتَدَارَكْ آخِرَهُ وَلَعَلَّ الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَيَّدَهُ اللهُ يَقُومُ مِنَ الإِعْتِذَارِ بِمَا قَعَدَ عَنْهُ الْقَلَمُ فَنِعْمَ رَائِدُ الْفَضْلِ هُوَ وَالسَّلاَمُ.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِى الْمَدْحِ والشُكرِ

كتب أحمدُ بنُ مكرَّم إلى أحمدَ بنِ المدبِّر[1]

إنَّ جَميعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ بَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقَرُّوا لَكَ وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ. فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ فَزَادَكَ اللهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ وَيُقَدِّمُهُ اخْتِيَارُكَ وَيَقَعُ مِنَ الأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافِقَتِكَ وَيَجْرِى فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ.

وكَتَبَ بعضهم

إنَّ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُثْنِى عَلَيْكَ أَنْ لاَ يَخَافُ الإِفْرَاطَ وَلاَ يَأْمَنَ التَّقْصِيرَ وَيَأْمَنَ أَنْ يَلْحَقَهُ نَقِيضَةُ الْكَذِبِ وَلاَ يَنْتَهِىَ بِهِ الْمَدْحُ غَايَةً إِلاَّ وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا.

وكتبَ آخرُ إلَى بعضهم

إِنِّى فِيمَا أَتَعَاطَى مِنْ مَدْحِكَ كَالْمُخْبِرِ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الزَّاهِرِ

---

(١) ورد له ذكر فى إرشاد الأريب.

وَالْقَمَـرِ الْبَاهِرِ الَّذِى لاَ يَخْفَـى عَلَى كُلِّ نَاظِرٍ وَايْقَنْتُ أَنِّى حَيْثُ انْتَهَى بِى الْقَوْلُ مَنْسُـوبٌ إِلَى الْعَجْزِ مُقَصِّرٌ عَنِ الْغَايَةِ فَانْصَرَفْتُ مِـنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدُّعَـاءِ لَكَ وَوَكَلْتُ الإِخْبَـارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِكَ.

وكتب أبو الفضلِ بديعُ الزمانِ الهَمَذانيُّ إلى الشيخ الإمام إلى الطيّبِ سهلٍ[1]

وَلَمَّـا وَقَعَ بِخُرَاسَـانَ مَـا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَـرَى مَا جَرَى مِنْ خَطْبٍ وَاضْطَرَبَتِ الأُمُورُ وَاخْتَلَفَتِ السُّيُوفُ وَالْتَقَتِ الْجُمُوعُ وَظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ وَخَسِرَ مَنْ خَسِرَ كَتَبَنِى اللهُ فِى الأَعْلَيْنَ مَقَامًا ثُمَّ الْهَمَنِى الإِمْتِدَادَ عَنْ تِلْكَ الْبِلاَدِ وَالإِقْلاَعَ عَنْ تِلْكَ الْبِقَاعِ وَأَحْسَنَ اللهُ الدِّاعَ عَنْ خِيْرِ الأَعْـلاَقِ وَهُوَ الرَّاسُ بِما دُونَ الأَعْرَاضِ وَهُوَ اللِّبَاسُ فَلَمْ نَجْزَعْ لِمَرَضِ الْحَالِ مَعَ سَـلاَمَةِ النُّفُـوسِ وَلَمْ نَحْزَنْ لِذَهَابِ الْمَالِ مَعَ بَقَاءِ الرُّؤوسِ وَسِـرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا عَرْضَةَ الْعَدْلِ وَسَاحَةَ الْفَضْلِ وَمَرْبَعَ الْحَمْدِ وَمَشْرَعَ الْمَجْدِ وَمَصْرَعَ الْفَقْرِ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِى

---

(١) هـو سـهل بن محمـد بـن سـليمان الصعلوكى النيسـابورى أبـو الطيب مفتى نيسـابور وابن مفتيهـا. لـه "الفوائـد" جمعها من مسموعاته، مات سـنة ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١/ ٢١٩.

أَحْمَدَ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضَعْنَاهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَثْبَتَ سَبْعَ سَنَابِلَ وَكَانَ مَا فَقَدْنَاهُ كَأَنَّا أَقْرَضْنَاهُ هذا الْمَلِكَ الْعَادِلَ وَكَأَنَّمَا سُمِّيَ خَلَفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلَفًا وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا جِئْنَاهُ لِيُضَيِّقَ عَلَيْنَا الْعَالَمَ وَيُبَغِّضَ إِلَيْنَا بَنِي آدَمَ فَيَجْعَلَ حَبْسَنَا سِجِسْتَانَ وَقَيْدَنَا الإِحْسَانَ وَكَأَنَّمَا خُلِقَ لِلدُّنْيَا تَحْجِيلاً وَلِلْمُلُوكِ تَخْجِيلاً وَكَأَنَّ هذا الْعَالَمَ قَدْ أَذْنَبَ مَثَلاً فَجُعِلَ هذا الْعَالَمُ عِقَابَهُ فَهُوَ الْبَحْرُ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَالْمَجْدُ يَتَصَوَّرُ فِي الْعَيْنِ وَالْعَدْلُ يَتَقَسَّمُ وَالجُودُ يَتَجَسَّمُ وَالْبَحْرُ يَتَكَلَّمُ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا فَرَشْتُ الأَرْضَ بِيَدِي فَرْشًا وَنَقَشْتُ التُّرَابَ بِفَمِي نَقْشًا وَخَطَا إِلَيَّ خَطَوَاتٍ كَادَتِ الأَرْضُ لاَ تَسَعُهَا وَكَادَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيَّفَ بِلَقْيَايَ وُفُودَ الْكَلاَمِ كَمَا زَيَّفْتُ بِلُقْيَاهُ مُلُوكَ الأَنَامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى النَّاسِ مِنْ جَمِيعِ الأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرَهُ أَحَدًا وَلاَ أَجِدُ مِثْلَهُ أَبَدًا وَإِنْ طَلَبْتُ مَلِكًا فِي أَخْلاَقِهِ مُتُّ وَلَمْ أُلاَقِ أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عُدِمْتُ قَبْلَ وُجُودِهِ فَحَرَسَ اللهُ سُلْطَانَهُ مِنْ مَلِكٍ وَسَّعَ أَرْزَاقِي فَضَيَّقَ أَخْلاَقِي وَأَغْلَى ثَمَنِي فَمَا يَشْتَرِينِي أَحَدٌ وَعَظَّمَ أَمْرِي فَمَا يَسَعُنِي بَلَدٌ وَهذا وَصْفٌ إِنْ أَطَلْتُهُ طَالَ وَنَشَرَ الأَذْيَالَ وَاسْتَغْرَقَ الْقِرْطَاسَ بَلِ الأَنْفَاسَ وَاسْتَنْفَدَ الأَعْمَارَ بَلِ الأَعْصَارَ وَلَمْ يَبْلُغِ الْمِعْشَارَ وَأَفْنَى الأَقْلاَمَ بَلِ الْكَلاَمَ وَلَمْ يَبْلُغِ التَّمَامَ.

وللعتابى صدر رسالة

أَنْتَ أَيُّهَا الأَمِيرُ وَارِثُ سَـلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلاَمِ أَهْلِ بَيْتِكَ الْمَسْدُودُ بِهِ ثَلْمُهُمُ الْمُجَدَّدُ بِهِ قَدِيمُ شَـرَفِهِمْ وَالْمُحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَـعْيِهِمْ وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمُلْ مَنْ كُنْتَ وَارِثَهُ وَلاَ دُرِسَـتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ سَبِيلِهِ وَلاَ انْمَحَتْ أَعْلاَمُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُتْبَتِهِ.

وكتبَ الحَسَنُ بن وَهْبٍ إلى بعضهم

مَنْ شَـكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرْوَةٍ أَقْدَرْتَهُ عَلَيْهَا فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا وَمَرَمَّقٍ أَمْسَكْتَ بِـهِ وَقَمْتَ بَيْنَ التَّـلَفِ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ بِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ وَمَدًى يُوقَفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ خَلاَ هذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ فَاقَتِ الْوَصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ وَأَنْـتَ مِـنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَـدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحَسُودِ فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلٍّ ظَلِيلٍ وَكَنَفٍ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْمُجْتَهِدِ.

وكتبَ أبو الفضل الميكالىُّ إلى بعضهم من رسالة

فَأَمَّا الشُّـكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رِدَاهُ وَقَلَّدَنِي طَوْقَهُ وَسَـنَاهُ فَهَيْهَاتِ

أَنْ يَنْتَسِبَ إِلاَّ إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ وَلاَ يَسِيرَ إِلاَّ تَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ ثَوْبٌ لاَ يُحَلَّى إِلاَّ بِذِكْرِهِ طِرَازُهُ. وَاسْمٌ لَهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسِوَاهُ مَجَازُهُ وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ مَلَكَ رِقِّي بِأَيَادِيهِ وَأَعْجَزَ وَسْعِي عَنْ حُقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ خَلَّى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمَيْدَانَهُ وَلَمْ يُجَاذِبْنِي زِمَامَهُ وَعِنَانَهُ لَتَعَلَّقْتُ عَنْ بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ فِيهِ وَلَوْ عَلَى بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَعٍ وَلَكِنَّهُ يَأْبَى إِلاَّ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى أَمَدِ الْفَضَائِلِ وَيَتَسَنَّمَ ذِرَى الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ فَلاَ يَدَعَ فِي الْمَجْدِ غَايَةً إِلاَّ سَبَقَ إِلَيْهَا فَارِطًا وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ عَنْهَا حَسِيرًا سَاقِطًا لِتَكُونَ الْمَعَالِي بِأَسْرِهَا مَجْمُوعَةً فِي مِلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسِيمِ وَشِرْكِهِ.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِى الْعِيادَةِ

كتب بعضهم إِلى صديقٍ لهُ

لَيْستْ حَالِى أَكْرَمَك اللهُ فِى الإِغْتِمَام بِعِلَّتِكَ حَالَ الْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِى نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا بَلِ اجْتَمَعَ عَلَىَّ مِنْهَا أَنِّى مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤْلَمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤْلِمُكَ فَأَنَا عَلِيلٌ مَصْرُوفُ الْعَنَايَةِ إِلَى عَلِيلٍ كَأَنِّى سَلِيمٌ وَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِى جَعَلَ عَافِيَتِى فِى عَافِيَتِك أَنْ يَخُصَّنِى بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِى وَلَكَ.

وكتبَ بعضهم

لَئِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ قَلْبِى ذِكْرَكَ وَلاَ لِسَانِى فَحْصًا عَنْ خَبَرِكَ وَمُحِبُّكَ يُحِبُّ أَنْ تَتَقَسَّمَ جَوَارِحُهُ وَصَبَكَ وَإِنْ زَادَ فِى أَلَمِهَا أَلَمُكَ وَأَنْ تَتَّصِلَ بِهِ أَحْوَالُكَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَلَمَّا بَلَغَنِى إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ مُهَنِّئًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلاَّ بِخَيْرِ السَّلاَمَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وكتبَ بعضهم

إنَّ الَّذِى يَعْلَمُ حَاجَتِى إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ عَنْ جَوْبَائِكَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّى فِى عِيَادَتِكَ لأَنِّى عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِى ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِى حَالِى لِغَيْبَتِكَ وَأَصْدَقُ الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الأَثَرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ الْفِعْلِ.

وكتب ابنُ الرُّومىّ إلى بعضهم

أَذِنَ اللهُ فِى شِفَائِكَ وَتَلَقَّى دَاءَكَ بِدَوَائِكَ وَمَسَحَ بِيَدِ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَفْدَ السَّلاَمَةِ إِلَيْكَ وَجَعَلَ عِلَّتَكَ مَاحِيَةً لِذُنُوبِكَ مُضَاعِفَةً لِثَوَابِكَ.

وكتب أبو بكر الخوارزمىّ الى تلميذ له

وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِى فَسَرَّنِى نَظَرِى إِلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ جَعَلَ اللهُ أَوَّلَهَا كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً وَلاَ أَعْدَمَكَ عَلَى الأُولَى أَجْرًا وَعَلَى الأُخْرَى شُكْرًا وَبِوُدِّى لَوْ قَرُبَ عَلَىَّ مُتَنَاوَلُ عِيَادَتِكَ فَاحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِالتَّعَهُّدِ وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ فَلَقَدْ خَصَّنِى مِنَ الْعِلَّةِ قِسْمٌ كَقِسْمِكَ وَمَرَضٌ

قَلْبِى فِيكَ لِمَرَضِ جِسْمِكَ وَأَظُنُّ أَنِّى لَوْ لَقِيتُكَ عَلِيلاً لأَنْصَرَفْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعَلُّ مِنْكَ فَإِنِّى بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى جَلْدُ عَلَى أَوْجَاعِ أَعْضَائِى غَيْرُ جَلْدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِى يَنْبُو عَنِّى سَهْمُ الدَّهْرِ إِذَا رَمَانِى وَيَنْفُذُ فِىَّ إِذَا رَمَى إِخْوَانِى فَأَقْرَبُ سِهَامِهِ مِنِّى أَبْعَدُ سِهَامِهِ عَنِّى كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّى أَقْرَبُهَا مِنِّى شَفَاكَ اللهُ وَعَافَاكَ وَكَفَانِى فِيكَ الْمَحْذُورَ وَكَفَاكَ وَرَفَعَ جَنْبَكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَآمَنَ سِرْبَكَ وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبَكَ.

ولهُ من رسالةٍ

وَقَفْتُ عَلَى مَا شَكَاهُ سَيِدِى مِنَ الْعِلَّةِ شَفَاهُ اللهُ تَعَالَى مِنْهَا وَعَوَّضَهُ الصِّحَّةَ عَنْهَا وَدِدْتُ لَوْ قَبِلَتْنِى الْعِلَّةُ فِدَاءَ وَأَمْكَنَنِى أَنْ أُقْرِضَ سَيِّدِى شِفَاءً فَكُنْتُ أَنْقُلُ إِلَيْهِ الصِّحَّةَ نَقْلاً وَأَبْذُلُ لَهُ مَا عِنْدِى مِنَ الْعَافِيَةِ بَذْلاً.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِى الإِهداءِ

كتب سعيدُ بنُ حميدٍ[1] إلى أهل السلطان فى يوم النيروز

أَيُّهَا السَّـيِّدُ الشَّـرِيفُ عِشْـتَ أَطْوَلَ الأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنَ الْعُمْرِ مَوْصُولَةٍ بِفَرَائِضَها مِنَ الشُّـكْرِ لاَ يَنْقَضِـى حَقُّ بِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَـكَ أُخْرَى وَلاَ يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلاَّ كَانَ مُقَصِّـرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَـهُ. إِنِّى تَصَفَّحْتُ أَحْوَالَ الأَتْبَاعِ الَّذِيـنَ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهَدَايَا إِلَى السَّـادَةِ وَالْتَمَسْـتُ التَّأَسِّـىَ بِهِمْ فِى الإِهْدَاءِ وَإِنْ قَصَّرَتْ بِىَ الْحَـالُ عَنِ الْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّى إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِـى فَهِىَ مِلْكٌ لَـكَ لاَحَظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ. وَرَمَيْـتُ بِطَرْفِى إِلَى كَرَائِمِ مَالِى فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّى لُمْهِدٍ مَالَكَ إِلَيْكَ. وَنَزَعْتُ

---

(١) هو سعيد بن حميد بن سعيد أبو عثمان كاتب مترسل من الشعراء. أصله من النهروان الأوسـط من أبناء الدهاقين ومولوده ببغداد ثم كان ينتقل فى السكنى بينها وبين سامرا وقلده المستعين العباسى ديوان رسائله أكثر أخباره مناقضات له مع فضل الشاعرة وشعره رقيق، كان ينحو فيه منحى ابن أبى ربيعة وأضرابه.
انظر المزيد فى: الأغانى ٢/ ٨.

إِلَى تَوَدُّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي أَنِّي لَمْ أُجَدِّدْ لِهذَا الْيَوم الْجَدِيدِ بِرًّا وَلاَ لَطَفًا. وَلَمْ أُمَيِّزْ مَنْزِلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنْزِلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلاَّ كَانَ الشُّكْرُ مُقَصِّرًا عَنِ الْحَقِّ والنِّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ الإِعْتِرَافَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالإِقْرَارَ بِالتَّقْصِيرِ عَمَّا يَجِبُ لَكَ بِرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذلِكَ:

إِنْ أُهْدِ مَالاً فَهْوَ وَاهِبُهُ
وَهُوَ الْحَقِيقُ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ
أَوْ أُهْدِ شُكْرِي فَهْوَ مُرْتَهَنٌ
بِجَمِيلِ فِعْلِكَ آخِرَ الدَّهْرِ
وَالشَّمْسُ تَسْتَغْنِي إِذَا طَلَعَتْ
أَنْ تَسْتَضِيءَ بِسُنَّةِ الْبَدْرِ

وكتبَ إبراهيم بن المهدى[1] إلى صديقٍ لهُ

لَوْ كَانَتِ التُّحَفَةُ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُـهُ حَقُّكَ لأَحْجَفَ بِنَا أَدْنَـى حُقُوقِكَ وَلكِنَّهَا عَلَى قَدَرِ مَا يُخْرِجُ مِنَ الْوَحْشَـةِ وَيُوجِبُ الأُنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا.

---

(١) هـو إبراهيـم بـن محمد المهـدى بن عبـد الله المنصور العباسـى الهاشمى أبو إسـحاق ويقال له ابن شكلة الأمير أخو هارون الرشيد. ولد سنة ١٦٢ هـ/ ٧٧٩م ونشـأ فى بغداد وولاه الرشيد إمرة دمشـق ثم عزله عنها بعد سنتين ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سـنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختـلاف الأمـين والمأمون للدعوة إلى نفسـه وبايعه كثيرون ببغـداد، فطلبه المأمون فاسـتتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلمًا، فسجنه ستة أشهر ثم طلبه إليه وعاتبه عى عمله، فاعتذر فعفا عنه، وكانت خلافته ببغداد سـنتين إلا خمسـة وعشـرين يومًا "٢٠٢ هـ- ٢٠٤ هـ" وتغلب على الكوفة والسواد والمأمون بخرسان وأقام فى استتاره سـت سنين وأربعة أشـهر وعشـرة أيام وظفر به المأمون سـنة ٢١٠ هـ وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة، وليس فى أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسـانًا ولا أجود شـعرًا. وكان وافر الفضل حازمًا واسع الصدر، سنحى الكف، حاذقًا بصنعة الغناء، وأمه جارية سـوداء اسمها "شكلة" نسبة إليها خصومه. مات فى سر من رأى سنة ٢٢٤ هـ/ ٨٣٩ م وصلى عليه المعتصم.

انظـر المزيـد فى: وفيات الأعيان ١/ ٨، الأغانى ١٠/ ٦٣ و ٦٤، لسـان الميزان ١/ ٩٨، تاريخ بغداد ٦/ ١٤٢، أشعار أولاد الخلفاء ١٧ - ٤٩.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِى التهانىء

كتب أبو الفضلِ بنُ العميدِ إلى عضُدِ الدولة يهنئهُ بَولدَين

أَطَـالَ اللهُ بَقَاءَ الأَمِيرِ الأَجَلِّ عَضْدِ الدَّوْلَـةِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَمْهِيدَهُ وَبَسْـطَتَهُ وَتَوْطِيـدَهُ وَظَاهَرَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ وَهَنَّـأَهُ بِمَا أَحْظَـاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ مِنْ تَوَفُّـرِ الأَعْدَادِ وَتَكَثُّرِ الإِمْدَادِ وَتَثَمُّرِ الأَوْلَادِ وَأَرَاهُ مِنَ النَّجَابَةِ فِى الْبَنِينَ وَالأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ الْكَرَمِ فِى الأَبَاءِ وَالأَجْدَادِ وَلاَ أَحْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ وَنَفْسَـهُ مِنْ مَسَـرَّةٍ وَمُتَجَدِّدِ نِعْمَةٍ وَمُسْـتَأْنَفِ مَكْرُمَةٍ وَزِيَادَةٍ فِى عَدَدِهِ وَفَسَحَ فِى أَمَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهَلِهِ وَيَسْـتَغْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْ فِىَ مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرَّفَهُ اللهُ السَّعَادَةَ فِيمَا بُشِّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا انْبَعَثَا مِنْ نُورِهِ وَاسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ وَحَقًّا بِسَرِيرِهِ وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مُتَلاَئِمَيْنِ وَوُرُودَهُمَا تَوْأَمَيْنِ بَشِـيرَيْنِ بِتَظَاهُرِ النِّعَمِ وَتَوَافُرِ الْقِسَـمِ وَمُؤْذِنَيْنِ بِتَرَادُفِ سَنِينَ يُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أُفُقُ الْعَلاَءِ وَيَنْتَهِى بِهِمْ أَمَدُ النَّمَاءِ إِلَى غَايَةٍ تَفُوتُ غَايَةَ الإِحْصَاءِ.

وكتبَ أبو الفضل بديعُ الزمانِ الهمذانىّ إلى طاهر الداوردى يهنئة بمولودٍ

حَقًّا لَقَدْ أَنْجَزَ الإِقْبَالُ وَعْدَهُ وَوَافَـقَ الطَّالِـعُ سَـعْدَهُ

وَإِنَّ الشَّـأْنَ لَفِيمَا بَعْـدَهُ وَحَبَّذَا الأَصْلُ وَفَرْعُـهُ وَبُورِكَ الْغَيثُ وَصَوبُـهُ وَأَيْنَعَ الـرَّوْضُ وَنَوْرُهُ وَحَبَّذَا سَمَاءُ أَطْلَعَـتْ فَرْقَدًا وَغَابَةٌ أَبْرَزَتْ أَسَدًا وَظَهْرٌ وَافَقَ سَنَدًا وَذِكْرٌ يَبْقَى أَبَدًا وَمَجْدٌ يُسَمَّى وَلَدًا وَشَرَفُ لُحْمَةٍ وَسَدْى:

أَنْجَبَ كلٌّ منْ وَالِدَيهِ بِهِ إِذْ نَجَلاَهُ فَنِعْمَ مَا نَجَـلاَ

فَأَلْفَيَاهُ شِهَابَ ذَكَاءٍ وَبَدْرَ عَلاَءٍ:

وَوَجَـدَاهُ ابْنَ جَـلاَ أَبْيَضَ يُدْعَى الْجَفَلَى

لِمِثْلِـهِ أَوْ لاَ فَـلاَ إِذَا النَّـدِيُّ احْتَفَـلاَ

وكتبَ بعضهم يهنىء صديقًا لهُ بالقدوم من سفرٍ

أَهَنِّىءُ سَيِّدِى وَنَفْسِى بِمَا يَسَّرَ اللهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا وَأَشْكُرُ اللهَ عَلَـى ذلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غَيْبَهُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغَيْبَتِكَ

وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ فَوَصَـلَ اللهُ تَعَالَـى قُدُومَـكَ مِنَ الْكَرَامَةِ بِأَضْعَافِ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِن السَّلاَمَةِ.

وكتبَ بعضهم تهنئةً بالنيروز

أَقْبَلَ النَّيْرُوزُ إِلَى سَـيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَلَهُ الَّتِى اسْتَعَارَهَا مِنْ شِيمَتِهِ وَمُبْدِيًا حِلْيَتَهُ الَّتِى اتَّخَذَهَا مِنْ سَـجِيَّتِهِ وَمُسْـتَصْحِبًا مِنْ أَنْوَارِهِ مَا اقْتَبَسَـهُ مِنْ جُـودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمُؤَكِّدًا لِلْوَعْدِ بِطُـولِ بَقَائِهِ حَتَّى يَمَـلَّ الْعُمْرَ وَيَسْـتَغْرِقَ الدَّهْرَ فَـلَازَالَ يَلْبَسُ الأَيَّـامَ وَيُبْلِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَـافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ سَعِيْدٌ وَلَازَالَ آمِرًا نَاهِيًا قَاهِرًا عَالِيًا تَتَهَيَّأُ الأَعْيَادُ بِمُصَادَقَةِ سُـلْطَانِهِ وَتَسْـتَفِيدُ الْمَحَاسِـنَ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِى الاستزارة

كتب الوزيرُ الكاتب أبو الفضلِ بنُ حسداى إلى عبدِ الرحمن بن طاهر

مَحَلُّكَ أَعَزَّكَ اللهُ فِى طَىِّ الْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ تَزَحْتِ الدَّارُ وَعِيانُكَ فِى أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارُ فَالنَّفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحَظِّ وَالْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفَرِ اللَّحْظِ فَلاَ عَائِدَةَ أَسْبَغُ بُرْدًا وَلاَ مَوْهِبَةَ أَسْوَغُ وِرْدًا مِنْ تَفَضُّلِكَ بِالْخُفُوفِ إِلَى مَأْنَسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ الْتِئَامُهُ وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ انْتِظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ الإِجْمَالِ بِالإِمْتَاعِ مِنْ ذلِكَ بِأَعْظَمِ الأَمَالِ وَحَسْبِى مَا تَتَحَقَّقُهُ مِنْ نِزَاعِى وَتَشَوُّقِى وَتَتَيَقَّنُهُ مِنْ تَطَلُّعِى وَتَتَوُّقِى وَقَدْ تَمَكَّنَ الإِرْتِيَاحُ بِاسْتِحْكَامِ الثِّقَةِ وَاعْتُرِضُ الإِنْتِزَاحُ بِارْتِقَابِ الصِّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَ اللهُ سَعْدَكَ بِسَمَاحَةِ شِيَمِكَ وَبَارِعِ كَرَمِكَ تُنْشِىءُ لِلْمُؤَانَسَةِ عَهْدًا وَتُورِى بِالْمَكَارِمَةِ زَنْدًا وَتَقْتَضِى بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلاً وَحَمْدًا لاَزِلْتَ مُهَنَّا بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ مُسَوَّغًا

اجْتِلاَءَ غُرَرِ الأَمَانِيِّ الْمُتَهَلِّلَةِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وكتبَ الوزيرُ الكاتب أبو القاسم بنُ السقَّاطِ إلى صديقٍ لهُ

يَوْمُنَا أَعَزَّكَ اللهُ يَوْمٌ قَدْ نُقِبَتْ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ الْغَمَامِ وَذُهِّبَتْ كَأْسُهُ بِشُعَاعِ الْمُدَامِ وَنَحْنُ مِنْ قِطَارِ الْوَسْمِيِّ فِي رِدَاءِ هَدِيٍّ وَمِنْ نَضِيرِ النُّوَّارِ عَلَى نَظِيرِ النَّظَارِ وَمِنْ بَوَاسِمِ الزَّهْرِ فِي لَطَائِمِ الْعِطْرِ وَمِنْ غُرِّ النَّدْمَانِ بَيْنَ زَهْرِ الْبُسْتَانِ وَمِنْ حَرَكَاتِ الأَوْتَارِ خِلاَلَ نَغَمَاتِ الأَطْيَارِ وَمِنْ سُقَاةِ الْكُؤُوسِ وَمُعَاطِي الْمُدَامِ بَيْنَ مُشْرِقَاتِ الشُّمُوسِ وَعَوَاطِي الآرَامِ فَرَأْيَكَ فِي مُصَافَحَةِ الأَقْمَارِ وَمُنَافَحَةِ الأَنْوَارِ وَاجْتِلاَءِ غُرَرِ الظِّبَاءِ الْجَوَازِي وَانْتِقَاءِ دُرَرِ الْغِنَاءِ الْحِجَازِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وكتبَ الصاحبُ ابنُ عبَّادٍ[1] إلى صديقٍ لهُ

(١) هو إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقانى وزير غلب عليه الأدب فكان من نوادر الدهر علمًا وفضلاً وتدبيرًا وجودة رأى. استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمى ثم أخوه فخر الدولة ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه فكان يدعوه بذلك.. ولد فى الطالقان سنة ٣٢٦ هـ/ ٩٣٨ م من أعمال قزوين وإليها نسبته وتوفى بالرى ونقل إلى أصبهان سنة ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م فدفن فيها. له تصانيف جليلة منها "المحيط" سبع مجلدات فى اللغة وكتاب "الوزراء" و "الكشف عن مساوئ شعر المتنبى" و "الإقناع فى العروض وتخريج القوافى" و "عنوان المعارف وذكر الخلائف" رسالة و "الأعياد وفضائل النيروز" =

نَحْـنُ يَا سَـيِّدِى فِى مَجْلِسٍ غَنِّـى إِلاَّعَنْكَ شَـاكِرٍ إِلاَّمِنْكَ قَدْ تَفَتَّحَـتْ فِيهِ عُيُـونُ النَّرْجِسِ وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُ الْبَنَفْسَـجِ وَفَاحَتْ مَجَامِـرُ الأُتْرُجِ وَفُتِقَتْ فَـأَرَاتُ النَّارَنْجِ وَانْطَلَقَتْ أَلْسُـنُ الْعِيدَانِ وَقَامَـتْ خُطَبَاءُ الأَطْيَارِ وَهَبَّتْ رِيَاحُ الأَقْدَاحِ وَنَفَقَتْ سُـوقُ الأُنْسِ وَقَامَ مُنَادِى الطَّرَبِ وَامْتَدَّ سَـحَابُ النَّدِّ فَبِحَيَاتِى إِلاَّ مَا حَضَرْتَ فَقَدْ أَبَتْ رَاحُ مَجْلِسِـنَا أَنْ تَصْفُقَ إِلاَّ أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يُمْنَاكَ وَأَقْسَـمَ غِنَاؤُهُ أَنْ لاَ يَطِيبَ حَتَّى تَعِيَهُ أُذُنَاكَ فَخُدُودُ نَارَنْجِهِ قَدِ احْمَرَّتْ خَجَلاً لإِبْطَائِكَ وَعُيُونُ نَرْجِسِهِ قَدْ حَدَّقَتْ تَأْمِيلاً لِلقَائِكَ.

وكتب أبو الطيبِ المتنبىءُ إلى صديقٍ لهُ كان يزورهُ أيام اعتلالهِ وانقطع عنهُ عند إبلالهِ

وَصَلْتَنِـــى وَصَـــلَكَ اللهُ مُعْتَـــلاًّ
وَقَطَعْتَنِـــــى مُبِـــلاً فَـــإِنْ رَأَيْـــتَ
أَنْ لاَ تُكَـــدِّرَ الصِحَّـــةَ عَلَـــــىَّ
وَلاَ تُحَبِّبَ الْعِلَّةَ إِلَىَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللهُ

= وجمعت رسـائله فى كتاب سمى "المختار من رسائل الوزير ابن عباد" وله شعر فيه رقة وعذوبة وتواقيعه أية الإبداع فى الإنشاء.

انظـر المزيـد فى: معجم الأدبـاء ٢/ ٢٧٣ – ٣٤٣، معاهد التنصيص ٤/ ١١١، تاريـخ ابـن الوردى ١/ ٣١٢، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٦٦؛ وفيات الأعيان ١/ ٧٥. المنتظم ٧/ ١٧٩؛ إنباه الرواة ١/ ٢٠١، لسان الميزان ١/ ٤١٣.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِى الوصاةِ

كتب الجاحظ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فُلاَنًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزَمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مَوَافَقَتِهِ مِنْ أَيَادِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوْلِنَا فِيهِ مَا يُعْرَفُ بِهِ مَوْقِعُنَا مِنْ حُسْنِ رأْيِكَ وَيَكُونُ مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا.

وكتبَ عبدُ الحميد بنُ يحيى إلى بعضهم

حَقُّ مُوصِلِ كِتَابِى عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَىَّ إِذْ جعَلَكَ مَوْضِعًا لأَمَلِهِ وَرَآنِى أَهْلاً لِحَاجَتِهِ وَقَدْ أَنْجَزْتُ حَاجَتَهُ فَصَدِّقْ أَمَلَهُ.

وكتب أبو بكرْ الخُوارَزمى إلى صديقٍ لهُ

الأَيَّامُ أَيَّدَكَ اللهُ بَيْنِى وَبَيْنَكَ تَرَاجِمَةٌ لِى عَنْ صِحَّةِ وَفَائِكَ وَشُهُودٌ عِنْدِى عَلَى صِدْقِ إِخَائِكَ وَأَقَلُّ حُقُوقِكَ عَلَىَّ يُلْزِمُنِى أَنْ لاَ أَشْغَلَ لِسَانِى بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلاَ قَلْبِى إِلاَّ بِذِكْرِكَ وَلَوْ تَجاوَزَ طَبقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِى مَيْدَانِ الْمِقَةِ وَتَنَازَعُوا خَصْلَ الأُنْسِ وَالثِّقَةِ

رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ سَابِقٌ وَلاَيُذْ كَرُمَعَهُ لاَحِقٌ وَأَنْ تُجْلِيَ الغَايَةُ مِنِّى عَنْ مَحَبَّةٍ مُرَبَّاةٍ بِالْوَفَاءِ وَعَنْ شُكْرٍ مُرْضَعٍ بِالدُّعَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِى خَبَرُ سَعْيِكَ لِفُلاَنٍ فِى الْعَمَلِ الَّذِى هُوَ دُونَ قَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ أَوْفَى وَأَمْلِى وَبِإِيفَائِكَ حَقَّكَ أَحَقُّ وَأَوْلِى وأَرَدْتُ أَنْ أَكِلَ شُكْرَكَ إِلَيْهِ وَلاَ أَتَطَفَّلَ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ تَطْوَى صَحِيفَةُ الشُّكْرِ وَلَمْ يَجْرِ لِى فِيهَا اسْمٌ وَأَنْ تُخْتَمَ جَرِيدَةُ الْمُشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِى فِيهَا قِسْمٌ فَذَكَرْتُهُ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ أَذْكَرُ وَشُكَرْتُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّى أَشْكَرُ عَلَى أَنِّى أَرْغَبُ بِذلِكَ الْحُرِّ عَنِ التَّلَطُّخِ بِأَوْضَارِ الأَعْمَالِ فَإِنَّهَا مَزَالِقُ اقْدَامِ الرِّجَالِ ضَنًّا بِهِ عَنْ تَخَالِيطِ الأَيَّامِ وَصِيَانَةً لِمَحَلِّهِ عَنْ مُدَانَسَةِ الأَوْهَامِ وَنِعْمَتُكَ عَلَيْهِ مُقْتَسَمَةٌ بَيْنِى وَبَيْنَهُ بَلْ أَكْثَرُهَا لِى دُونَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تُكْسِبُكَ شُكْرَيْنِ وَتَسْتَعْبِدُ لَكَ حُرَّيْنِ وَجَدِيرٌ بِمَنْ هَطَلَتْ عَلَيْهِ سَحَائِبُ عِنَايَتِكَ وَرَفْرَفَتْ حَوْلَهُ أَجْنِحَةُ رِعَايَتِكَ أَنْ يَبْنُوَ عَنْهُ سَيْفُ الزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحَتِهِ عَسْكَرُ الزَّمَانِ مَهْزُومًا وَاللهَ عزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لاَ يَحْرِمَكَ نِعْمَةً يُمَدُّ إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ وَدُودٍ وَمِنَّةً تَفْقَأُ عَنْكَ عَيْنَ حَسُودٍ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وكتبَ الحَسَنُ بن وَهْبٍ إلى مالكِ بنِ طوقٍ[1] فى ابن أبى الشِيص

كِتَابِى إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِى وَفَرَّغْتُ لَهُ ذِهْنِى فَمَا ظَنُّكَ بِحَاجَةٍ هـذَا مَوْقِعُهَا مِنِّـى أَتُرَانِى أَقْبَلُ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أُقَصِّرُ فِى الشُّـكْرِ عَلَيْهَـا وَابْنُ أَبِى الشِّـيصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَـبَهُ وَصِفَاتِهِ وَلَوْ كانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِبِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَاكْتَفِ بِهذَا مِنَّا.

---

(١) هـو مالك بـن طوق بن عتاب التغلبـى أبو كلثوم أمير، كان من الأشـراف الفرسـان الأجواد، ولى إمرة دمشـق للمتوكل العباسى وبنى بمسـاعدة الرشيد بلدة الرحبة التى على الفرات، وتعرف برحبة مالك نسـبة إليه وكثر سكانها فى أيامه. وكان فصيحًا له شعر، مات سنة ٢٥٩ هـ.

انظر المزيد فى: فوات الوفيات ٢/ ١٤٢، معجم البلدان ٤/ ١٣٦، دول الإسـلام ١/ ١٢٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢، الشريشى ١/ ١٤٥، رحلة ابن جبير ٢٤٨.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِى الشَّكوَى

كتب أبو بكرٍ الخُوارَزمى إلى صاحب ديوان الحضرة وقد طُول أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هـذَا أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّـيْخِ الرَّئِيسِ حَالُ نَيْسَـابُوَ وَأَهْلِيهَا بَلْ حَالِى وَحَالُ الأَحْرَارِ فِيهَا.

وأَصْبَحَ أَقْـوَامٌ يَقُولُونَ مَا اشْتَهَوْا
وَغَابَ أَبُو عَمْرٍو وَغابَتْ رَوَاحِلُه

وَقَدْ كُنْتُ آوِى مِنَ الشَّـيْخِ أَيَّامَ مُقَامِـهِ بِهذِهِ الْجَنْبَةِ إِلَى كَنَفٍ رحِيـبٍ وَجَنَابٍ خَصِيبٍ وَبَابٍ وَاسِـعٍ وَنَائِلٍ شَـائِعٍ وَوَجْهٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسْخَةَ الْكِرَامِ فِى وَجْنَتَيْهِ تَلْمَعُ آثَارُ الْكَرَمِ بِنُورِ أَسَارِيرِهِ وَتُعْرَفُ بُشْرَى النَّجَاحِ فِى تَبَاشِيرِهِ وَفَم يُنَشِّرُنِى بِابْتِسَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُبَشِّرنى بِكَلَامِهِ وَيُجِيبُنِى بِالنُّجْحِ بِإِشَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُتَرْجِمَ بِعِبَارَتِهِ وَإِذَا رَأَيْتُـهُ رَأَيْتُ بَخْتِى قَدْ أَقْبَلَ إِلَىَّ فِى مَعْرِضِ الْكَمَالِ

وَظَالِعَ سَعْدِى قَدْ طَلَعَ عَلَىَّ بِنَيْلِ الآمَالِ عَنْ يَمِينِىَ الْجَمَالُ وَعَنْ يَسَارِىَ الْجَلاَلُ فَأَغْدُو إِلَى بَابِهِ يُقَدِّمَنِى الأَمَلُ وَالرَّجَاءُ وَأَرُوحُ عَنْهُ فَيُشَيِّعُنِى الشُّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَأَحْمِلُ حَوَائِجِى مِنْهُ عَلَى جَبَلِ الْجُودِ الَّذِى لاَ تُحَرِّكُهُ الْمَطَالِبُ وَلاَ تَثْقُلُ عَلَيْهِ الرَّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرِهِ الَّذِى لاَ يُنْزِفُهُ الأِسْتِقَاءُ وَلاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ وَلاَ يُرَى قَعْرُهُ وَلاَ يُدْرَكُ غَوْرُهُ وَإِنَّمَا يَصْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ سَمْعُهُ بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ رَحَى الأَضْرَاسِ مِنْ وَلَدَ فِى طَالِعِ السُّخَارِ وَغُذِىَ فِى حُجُورِ الْكُرَمَاءِ وَقُرِعَ سَمْعُهُ مُنْذُ صِبَاهُ بِأَصْوَاتِ الأُدَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَمُرِّنَ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ.

وَالثِّقْلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمطِيَّةٍ إِلاَّ إِذَا كَانَ وَهْمًا بَازِلاً حَتَّى إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ آمَالِى تَرِفُ بَعْدَ مَا يَبِسَتْ وَوُجُوهُ مَطَالِبِى تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عَبَسَتْ رَمَتْنِى الأَيَّامُ بِفِرَاقِ الشَّيْخِ فَأَخْذَجَ رَجَائِىَ الْحَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أَمَلِىَ الْحَافِلُ وَسَكَتَ لِسَانِىَ الْقَائِلُ وَفَتَرْتُ فُتُورَ التَّاجِرِ بَارَ مَتَاعُهُ وَغَابَ مُبْتَاعُهُ شَمْلَهُ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُمْ وَفَضْلَهُ وَلَوء أَنْصَفْتُ الأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ الشَّيْخِ لَرَثَيْتُهُ مَرْثِيَةَ الأَمْوَاتِ وَلاَقَمْتُ عَلَيْهِ مَأْتَمَ الْمَمَاتِ وَمَحَوْتُ اسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةِ الْحَيَاةِ هَذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ الْخَرَاجِ مَنْ لاَ أُطْرِئُهُ بِجُرْمَةٍ

وَلاَ أَتَنَاوَلَهَ بِطَرَفِ ذَرِيعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ حَشَدَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَامَّةِ وَأَدْخَلَنِي فِي غِمَارِ سَائِرِ الرَّعِيَّةِ وَأَوْقَعَنِي عَلَى جِسْرٍ قُدَّامَهُ الْخُسْرَانُ وَخَلْفَهُ الْهَوَانُ وَفَجَعَنِي بِدُرَيْهِمَاتٍ جُمِعَتْ بِتَقَحُّمِ الْمَهَالِكِ وَاخْتِرَاقِ الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ وَدَنَانِيرَ قَطَعَتْ الْقِفَارَ وَخَاضَتِ الْبِحَارَ وَنَاطَحَتِ الْحَوَادِثَ وَالأَقْدَارَ فَإِنْ بَذَلْتُهَا أَبْزَلْ مَصُونًا عَلَى أَبِّي أَحْمِلُ عَلَى الْجَمَالِ التَّجَمُّلَ وَأُوثِرُ الْبَذْلَ عَلَى النَّبْذُلِ وَأُنْشِدُ شِعْرًا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ وَمَا أَيْسَرَ دَوَاءَ هذَا الدَّاءِ لَوْ طَاوَعَتْنِي نَفْسِيَ الْعَاصِيَةُ وَتَابَعَتْنِي رِجْلِيَ الآبِيَةُ. قَدْ خَلْتُ الدِّيْوَانَ وَصَانَعْتُ الزَّمَانَ وَفَتَحْتُ جِرَابَ النِّفَاقِ وَالرِّثَاءِ وَأَغْلَقْتُ بَابَ الْحِفَاظِ وَالْوَفَاءِ وَلكِنَّ النَّظَرَ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَيَّ وَأَهْوَنُ عَلَى عَيْنَيَّ مِنْ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى هذَا الصَّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ ذلِكَ الْبَدْرِ وَإِنِّي لأَغَارُ عَلَى الْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْحُرَمِ وَأَبْخُلُ بِالْمَرَاتِبِ كَمَا يَبْخُلُ غَيْرِي بِالْمَكَاسِبِ وَأَسْتَحْيِي لِعَيْنِي أَنْ أَفْتَحَهَا عَلَى الصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ الْكَبِيرِ لاَ ابْتَلاَنِيَ اللهُ بِمَجَالِسِ الْغَيْرَةِ وَلاَ أَقَامَنِي فِي مَقَامَاتِ الْغُمَّةِ وَالْحَيْرَةِ فَإِنِ ابْتَلاَنِي بِذلِكَ وَجَدَنِي ضَيِّقَ سَاحَةِ الصَّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ الصَّبْرِ كَثِيرَ الْمُبَارَاةِ قَلِيلَ الْمُدَارَاةِ هذِهْ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرَجٌ أَرْتَجِيهِ

أَوْ نَظَـرُ أَتَجَمَّعُ فِيـهِ وَهَلْ يُحَرِّكُ لَفْظَةً مِـنْ أَلْفَاظِهِ أَوْ لَحْظَةً مِنْ أَلْحَاظِـهِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِى مَا نَصَبَ مِـنْ مَائِهِ وَعَلَى عِرْضِى مَا ذَهَـبَ مِنْ بَهَائِهِ وَلَعَمْـرِى إِنَّ حَاجَتِى إِلَى الشَّـيْخِ فِى هذَا الْخَرَاجِ صَغِيرَةٌ وَلكِنِّى لاَ أَسْـتَصْغِرُ مِنْهُ يَسِيرًا كَمَا لاَ أَسْتَعْظِمُ مِنْهُ كَبِيرًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُرَّ يَسَـعُ الدَّقِيقَ بِفِطْنَتِـهِ وَالْجَلِيلَ بِهِمَّتِهِ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّى كِتَابُهُ بِالْفَرَجِ خَشِـيتُ أَنْ يَسْرِىَ فِىَّ السُّمُّ الْعِرْيَطِىُّ إِلَى أَنْ يَصِـلَ إِلَىَّ التِّرْيَاقُ الْبَطِىُّ أَعُوذُ بِاللهِ مِـنْ أَنْ يَكُونَ دَائِى نَقْدًا وَدَوَائِى وَعْدًا.

وكتبَ الوزيرُ الكاتب أبو المطرِّف بنُ الدَّبَّاغ إلى ابن حسداى

كِتَابِـى وَأَنَا كَمَا تَدْرِيهِ غَرَضٌ لِلأَيَّامِ تَرْمِيهِ وَلكِنِّى غَيْرُ شَـاكٍّ مِنْ آلاَمِهَا لأَنَّ قَلْبِى فِى أَغْشِـيَةٍ مِنْ سِـهَامِهَا فَالنَّصْلُ عَلَى مِثْلِهِ يَقَـعُ وَالتَّأَلُّمُ بِهذِهِ الْحَالَةِ قَدِ ارْتَفَعَ كَذلِكَ التَّفْرِيعُ إِذَا تَتَابَعَ هَانَ وَالْخَطْبُ إِذَا اشْتَدَّ لأَنَّ وَالْحَوَادِثُ تَنْعَكِسُ إِلَى أَضْدَادِهَا إِذَا تَنَاهَتْ فِى اشْتِدَادِهَا وَتَزَايَدَتْ عَلَى آمَادِهَا.

وكتبَ عبدُ الحميدِ بنُ يحيى إلى أهلِهِ وهو منهزم مع مروان

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةً بِالْكُرْهِ وَالسُّرُورِ فَمَنْ

سَاعَدَهُ الْحَظُّ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ عَضَّتْهُ بِنَابِهَا ذَمَّهَا سَاخِطًا عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَقَدْ كَانَتْ أَذَاقَتْنَا أَفَاوِيقَ اسْتَحْلَيْنَاهَا ثُمَّ جَمَحَتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَمَحَتْنَا مَوَلِيةً فَمَلُحَ عَذْبُهَا وَخَشُنَ لَيِّنُهَا فَأَبْعَدتْنَا عَنِ الأَوْطَانِ وَفَرَّقَتْنَا عَنِ الإِخْوَانِ فَالدَّارُ نَازِحَةٌ وَالطَّيْرُ بَارِحَةٌ وَقَدْ كَتَبْتُ وَالأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا. فَإِنْ تَتِمَّ الْبِلِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مُدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ الْعَهْدِ بِكُمْ وَبِنَا وَإِنْ يَلْحَقْنَا ظُفُرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ تَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الإِسَارِ وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ اللهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أُلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارِ آمِنَةٍ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أُلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارٍ آمِنَةٍ تَجْمَعُ سَلَامَةَ الأَبْدَانِ وَالأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وكتبَ الأميرُ أبو الفضلِ الميكالىُّ من رسالةٍ

إِنَّمَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ بِأَكْثَرَ مِمَّا مَتَّعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آنَسَ وَعَنَّفَ فِي نَزْعِ مَا أَلْبَسَ فَإِنَّهُ لَمْ يُذِقْنَا حَلَاوَةَ الإِجْتِمَاعِ حَتَّى جَرَّعَنَا مَرَارَةَ الْفِرَاقِ وَلَمْ يُمَتِّعْنَا بِأُنْسِ الإِلْتِقَاءِ حَتَّى غَادَرَنَا رَهْنَ التَّلَهُّفِ وَالإِشْتِيَاقِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ يَسُوءُ وَيَسُرُّ وَيَحْلُو وَيَمُرُّ وَلَا أَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ

فِي إِبَاحَةِ صُنْعٍ يَجْعَلُ رَبْعَهُ مُنَاخِي وَيُقَصِّرُ مُدَّةَ الْبِعَادِ وَالتَّرَاخِي فَأَلَاحِظُ الزَّمَانَيْنِ رَاضٍ وَيُقْبِلُ إِلَى حَظِّي بَعْدَ إِعْرَاضٍ وَأَسْتَأْنِفُ بِعِزَّتِهِ عَيْشًا جَنْبَ الْمَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ مَأْمُونَ الآفَاتِ وَالْغَرَانِ.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِى التعازى

كتب أبو الفضل بديعُ الزمانِ الهَمَذانىُّ إلى أبى عامر عدنان بن محمد الضبى

إِذَا مَـا الدَّهْـرُ جَـرَّ عَلَـى انَـاسٍ
ذَلاَذِلَـهُ أَنَـاخَ بِآخَرِيْنَـا
فَقُـلْ لِلشَّـامِتِيـنَ بِنَـا أَفِيقُـوا
سَيَلْقَـى الشَّامِتُـونَ كَمَـا لَقِينَـا
حْسَنُ مَا فِى الدَّهْرِ عُمُومُهُ بِالنَّوَائِبِ
وَخُصُوصُـهُ بِالرَّغَائِـبِ
فَهُـوَ يَدْعُـو الْجَفَلَـى إِذَا سَـآءَ
وَيَخُـصُّ بِالنِّعْمَـةِ إِذَا شَـاءَ
فَلْيفَكِّـرِ الشَّامِـتُ فَـإِنْ كَانَ أَفْلَت
فَلَـهُ أَنْ يَشْـمَتَ وَلْيَنْظُـرِ

الإنْسَـــانُ فِـــى الدَّهْـــرِ وَصُرُوفِـهِ
وَالْمَـــــوْتِ وَصُنُوفِـــــهِ مِـــــنْ
فاتِحَـــةِ امـــرِهِ إِلَـى خَاتِمَةِ عُمْرِهِ
هَـــلْ يَجِـدُ لِنَفْسِـهِ أَثَـرًا فِى نَفْسِـهِ
أَمْ لِتَدْبِيـــرِهِ عَـــوْنَا عَلَـى تَصْوِيرِهِ
أَمْ لِعَمَلِـــهِ تَقْدِيمًـــا لأَمَلِـــهِ
أَمْ لِحِيَلِـــهِ تَأْخِيـــرًا لأَجَلِـــهِ
كَـلاَّبْ بَـلُ الْعَبْـدُ لَـمْ يَكُـنْ شَيْئًا
مَذْكُـــورًا خُلِـــقَ مَقْهُـــورًا
وَرُزِقَ مَقْـــدُورا تَحْيَـــا جِيْـــرًا

وَيَهْلِـكُ صَـبرًا وَلْيَتَامَّلِ الْمَـرْءُ كَيْفَ كَانَ قَبْلاً فَـإِنْ كَانَ الْعَدَمُ أَصْـلاً وَالْوُجُودُ فَضْـلاً فَلْيَعْلَمِ الْمَوتَ عَدْلاً وَالعَاقِـلُ مَنْ رَقَعَ مِنْ جَوَانِبِ الدَّهْرِ مَا سَـاءَ بِمَا سَرَّ لِيَذْهَبَ مَا نَفَع بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْزَنَ فَلْيَنْظُرْ يَمْنَةً هَلْ يَرَى إِلاَّ مِحْنَةً ثُمَّ لِيَعْطِفْ يَسْـرَةً هَلْ يَرَى إِلاَّ حَسْـرَةً وَمِثْلُ الشَّـيْخِ الرَّئِيسِ أَطَـالَ اللهُ بَقَاءَهُ مَنْ تَبَطَّنَ هذِهِ الأَسْـرَارَ وَعَرَفَ هذِهِ الدِّيَـارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيمِهَا صَـدْرًا لاَ يَمْلأُهُ فَرَحًا وَلِبُؤْسِهَا قَلْبًا لاَ يَطِيرُهُ تَرَحًا وَصَحِبَ البَرِيَّةَ بِرَأْيِ مَنْ يَعْلَمُ

أَنَّ لِلْمَنِيَّــةِ رَحىً وَلَقَدْ نُعِــىَ إِلَىَّ أَبُو قَبِيصَةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ وَبَرَّدَ ضَرِيحَــهُ فَعُرِضَتْ عَلَىَّ آمَالِى قُعُودًا وَأَمَانِىَّ سُــودًا وَبَكَيْتُ وَجُودُ السَّــخِىِّ بِمَا يَمْلِكُ وَضَحِكْتُ وَشَرُّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ وَغَضَضْتُ الإِصْبَــعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ وَذَمَمْتُ الْمَوْتَ حَتَّــى ثَمَنَّيْتُهُ وَالْمَوْتُ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ خَطْبٌ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمْرٌ قَدْ خَشُنَ حَتَّــى لاَنَ وَنُكْرٌ قَدْ عَــمَّ حَتَّى صَارَ عُرْفًا وَالدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ حَتَّى صَــارَ الْمَوْتُ أَخَفَّ خُطُوبِهَا وَخَبُثَتْ حَتَّى صَارَ أَقَلَّ عُيُوبِهَا وَلَعَلَّ هَذَا السَّــهْمَ قَدْ صَارَ آخِرَ مَا فِــى كِنَانَتِهَا وَأَنْكَى مَا فِى خِزَانَتِهَا وَنَحْنُ مَعَاشِــرَ التَّبَعِ تَتَعَلَّمُ الأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَالْجَمِيلَ مِنْ أَفْعَالِهِ فَــلاَ تَحُثُّهُ عَلَى الْجَمِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ وَلاَ تُرَغِّبُهُ فِى الْجَزِيلِ وَهُوَ الأَجْرُ فَلْيَرَ فِيهِمَا رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

ولمصحبهِ يعزّضى أحد أصدقائهِ بنسيبٍ لهُ توفى أيام الوبآء

أَشْــبَاحٌ تَرُوحُ وَتَجِى وَآجَالٌ تُمْسِــى وَتَغْتَدِى وَأَنْفَاسٌ تَتَقَطَّعُ مِنْ دُونِهَا حُزْنًا وَأَسَــفًا وَعَــبَرَاتٌ تَتَقَطَّرُ وَجْدًا وَلَهَفًا وَمَا عَمَدَتِ الأَقْدَارُ إِلَى اسْــتِنْزَافِ مَدْمَــعٍ وَلاَ أَرَادَتِ الأَيَامُ إِيْلاَمَ مُوجَعٍ إِنَّمَا هِىَ سُــنَّةُ الْخَلْقِ كَوْنٌ يَلِيهِ زَوَالٌ وَعَقْدٌ يَسْبُقُهُ انْحِلاَلٌ وَإِنَّ لِكُلِّ شَــىْءٍ أَجَلاً مَوْقُوتًا وَإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا قَدُورًا وَإِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى

كُلٌّ ذلِكَ شَاهِدٌ يَسْمَعُ لاَهِيًا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَاضِيًا وَلاَ أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ عَزِيَكَ لَوْلاَ مَا يُغَالِبُنِي عَلَى الْعَزَاءِ مِنْ كَبِدٍ حَرَّى وَمُقْلَةٍ شَكْرَى وَزَفْرَةٍ تَتْرَى ثُمَّ وَدِدْتُ أَنْ أَسْتَبْكِيَكَ لَوْلاَ أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدَعْ فِي الْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ وَأَحْيَيْتُ لَيَالِيَّ بِالنَّوْحِ حَتَّى مَا بِالنَّجْمِ سُهَادٌ ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي الْبُكَاءُ عَلَى سُقْمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي النَّوْحُ عَلَى صَفَرِ يَدِي إِلاَّ مِنْ كَبِدِي. فَإِنَّ الأَقْدَارَ سِهَامٌ إِذَا انْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدَّ وَإِنَّ الْمُتَطَلِّعَ إِلَى الْفَائِتِ لَطَوِيلُ شُقَّةِ الْكَمَدِ وَإِنَّ الْخُطُوبَ لَهِيَ هِيَ وَإِنَّمَا تَتَفَاوَتُ عِنْدَ الْجَلَدِ.

وَإِنَّ الْحَصَى عِنْدَ الْجُزُوعِ ثَقِيلَةٌ
وَضَخْمَ الصَّفَا عِنْدَ الصَّبُورِ خَفِيفُ

وَإِنِّي لأَرْجُو فِي عَقْلِكَ وَحِلْمِكَ أَنَّكَ قَدْ صَرْتَ مِنْ جَانِبِ الْعَزَاءِ ثُمَّ أَحْمَدُ اللهَ عَلَى نَجَاتِكَ إِنَّ لَنَا فِي بَقَائِكَ الْعِوَضَ وَالتَّأَسَاءَ فَلَقَدْ قَلَّبْتَ الْقُلُوبَ عَلَى جَمَرَاتٍ لاَ تَدْرِي أَيُّهَا أَذْكَى ضِرَامًا ثُمَّ أَوْرَدْتَهَا مِنْ سَلاَمَتِكَ مَا رَأَتِ الشَّكْوَى بَعْدَهُ ظُلْمًا وَالتَّظَلُّمَ حَرَامًا وَالْحَمْدُ لِلّهِ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ الْمَسْؤُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ قُرَّةً لِلْعُيُونِ وَجَبْرًا لِخَاطِرِ الْمَحْزُونِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

ولمصحهِ أيضًا إلى صديقٍ لهُ جوابًا عن كتاب ينعى إليهِ فيهِ أحد انسبائهِ ويعزّيهِ بنسيبٍ لهُ

وَرَدَ كِتَابُـكَ يَتَجَاذَبُهُ طَرَفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعْزِيَةٍ وَيَضْرِبُ عَلَيْهِ لَوْنَانِ مِنْ شَجْوٍ وَنَسْلِيَةٍ فَمَنْ لِي بِعَبْرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا وَتَرْقَأُ الأُخْـرَى وَمَنْ لِي بِقَلْبَيْنِ يَـذُوبُ أَحَدُهُمَا جَزَعًا وَيَجْمُدُ الآخَرُ صَـبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصْـبِرُ جَرِيحُ ضَرَبَهُ الدَّهْرُ بِسَـيْفَيْنِ وَجَرَّعَهُ الْبَلْوَى بِكَأْسَـيْنِ فَمَزَجَ عَبْرَةً بِعَبْرَةٍ وَتَابَعَ حَسْـرَةً إِثْرَ حَسْـرَةٍ وَبَـاتَ لاَ يَجِدُ إِلَى الصَّبْرِ دَلِيلاً وَلاَ يَهْتَدِي إِلَى الْعَزَاءِ سَـبِيلاً وَلَكِنَّ الأَمْرَ فَوْقَ مَا تُجْرِي الْجُفُونُ وَمَا تُثِيرُ الشُّجُونُ وَأَمْرُ اللهِ وَاقِعٌ لاَ يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَالدَّمْعُ لاَ يُسْـبِغُ غُصَّةً وَالْوَجْدُ لاَ يُزِيلُ كُرْبَةً.

وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السِّلاَحِ عَلَى الْبُكَا
فَحَشَـاكَ رُعْـتَ بِـهِ وَخَـدَّكَ تَقْـرَعُ

فَمَا لَنَا إِلاَّ السَّـعْيُ وَرَاءَ مَانَدَّ مِنَ الصَّبْرِ نُكْرِهُ عَلَيْهِ النَّفْسَ وَإِنْ كَانَ أَحَـدَ الْمُرَّيْنِ وَالإِلْتِجَاءُ إِلَى الرِّضَى بِالْمَكْتُوبِ نُدَاوِي بِهِ الْقَلْبَ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ الدَّاءَيْنِ وَحَسْبُنَا اللهُ وَكِيلاً.

وكتب أبو بكرٍ الخُوارَزمِيِّ إلى كثيرِ بنِ أحمدَ يعزيهِ بابنةٍ لهُ

نَحْنُ مَعَاشِرَ اَوْلِيَاءِ الشَّيْخِ وَمُتَحَمِّلِي أَعْبَاءِ نِعْمَتِهِ وَالْمُتَّسِمِينَ بِسِمَةِ كَلِمَتِهِ إِذَا صَدِئَتْ قَرَائِحُنَا وَفَسَدَتْ أَذْهَانُنَا جَلَوْنَاهَا بِمُجَالَسَتِهِ وَغَسَلْنَا عَنْهَا وَضَرَ التَّغَيُّرِ بِاتِّبَاِ طَرِيقَتِهِ وَسُسْنَا أَنْفُسَنَا بِمَا تَرَاهُ وَنَتَعَلَّمُهُ مِنْ سِيَاسَتِهِ لِبِطَانَتِهِ ثُمَّ لِرَعِيَّتِهِ وَإِذَا كَانَتِ الْحَالُ هذِهِ فَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ نَبِيعَ عَلَى الشَّيْخِ مَا اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ وَأَنْ نَجْلُبَ إِلَيْهِ مَا جَلَبْنَاهُ عَنْهُ وَأَنْ نُقِيمَ أَنْفُسَنَا مُقَامَ الْمُعَلِّمِينَ وَنُقِيمُهُ مُقَامَ الْمُتَعَلِّمِينَ وَأَنْ نَحْمِلَ إِلَيْهِ مَوَاعِظَ بَذْلُهُ كَلَامِهِ مِنْهَا أَبْرَعُ وَبِدَاءَهُ تَوْقِيعَاتِهِ مِنْهَا أَبْدَعُ وَلكِنْ لَابُدَّ لِلْمُحِبِّ أَنْ يُنْطِقَ لِسَانُهُ وَقَلَمُهُ بِمَا يُخَرْجِمُ بِهِ عَنْ وَدَائِعِ صَدْرِهِ وَيُعَبِّرُ عَنْ نِيَّتِهِ وَسِرِّهِ وَلَابُدَّ لِمَنْ شَارَكَ رَبِيبُهُ فِي أَيَّامِ الرَّخَاءِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي أَيَّامِ الْغُمُومِ وَالْمَصَائِبِ لِيَكُونَ قَدْ خَدَمَهُ فِي النَّوْبَتَيْنِ وَتَصَرَّفَ مَعَهُ عَلَى الْحَالَتَيْنِ وَأَثْبَتَ اسْمَهُ فِي جَرِيدَةِ الشُّرَكَاءِ الْمُسَاهِمِينَ مَرَّتَيْنِ وَبَلَغَنِي خَبَرُ الْمُصِيبَةِ فَاغْتَمَمْتُ بِهَا غَمَّيْنِ وَنَفَذَتْ إِلَيَّ سِهَامُ الْفَجِيعَةِ مِنْ طَرِيقَيْنِ أَمَّا إِحْدَاهُمَا أَنِّي أَغَارُ عَلَى هذِهِ الْجَنْبَةِ الْكَرِيمَةِ وَعَلَى هذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مِنْ أَنْ تَنْفُذَ فِيهَا رَمْيَةُ الزَّمَانِ أَوْ تَتَنَاوَلَهَا يَدُ مِنْ أَيْدِي النُّقْصَانِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ أَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ الْفَجِيعَةَ

إِذَا لَمْ تُارَبْ بِجَيْشِ الْبُكَاءِ وَلَمْ تُقَاتَلْ بِالإِذَاعَةِ وَالإِشْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاؤُهَا وَزَادَتْ أَعْبَاؤُهَا وَإِنَّمَا الْغَمُّ سُمٌّ يِرْيَاقُهُ الْمُبَاثَّةُ وَالْمَوْتُ خَرْقٌ رَفْؤُهُ التَّسْلِيَةُ وَالتَّعْزِيَةُ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

وَإِذَا كَانَ لاَبُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ الْكَمَالِ وَلاَبُدَّ مِنْ عُوذَةٍ يُعَوَّذُ بِهَا وَجْهُ الْجَمَالِ فَلأَنْ تَكُونَ الْوَاقِعَةُ فِي الصَّغِيرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي الْكَبِيرِ فَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّ الْمِحْنَةِ مِنْحَةً وَمَزَجَ بِالتَّرْحَةِ فُرْحَةً فَسَتَرَ عَوْرَةً مِنْ حَيْثُ سَلَبَ أُنْسًا وَنُزْهَةً وَكَفَى مَؤُونَةً مِنْ حَيْثُ جَلَبَ فَجِيعَةً وَأَبْقَى الْكَبِيرَ الْكَثِيرَ مِنْ حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَمَّلَ وَالِدًا مِنْ حَيْثُ أَثْكَلَ وَالِدَةً. وَهَكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ الْمُقْبِلِينَ الْمَجْدُودِينَ فَإِنْ الدَّهْرَ إِذَا سَاءَهُمْ فِي الْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الْجَلِيلِ وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي الْخَفِيِّ الْمَسْتُورِ صَانَعَهُمْ فِي الْجَلِيِّ الْمَشْهُورِ وَالْمَذَابِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّمَا تَكُونُ مِحْنَتُهُمْ صَافِيَةً صَرْفًا وَخَالِصَةً بَحْتًا وَالدَّهْرُ يَعْلَمُ أَيْنَ الزُّبُونُ وَمَنِ الْمَغْبُونُ وَأَنَا أَسْأَلُ اللّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَوَفَّاةَ لِوَالِدَيْهَا فَرَطًا وَأَجْرًا وَكَنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَذُخْرًا. وَأَنْ يَحْشُرَهَا شَفِيعًا تُقْبَلَ شَفَاعَتُهُ وَتُقْضَى فِي وَالِدَيْهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيُعَوَّضَ عَنْهَا الشَّيْخَ أَخًا لَهَا سَوِيًّ

الْخَلْقِ وَالْخُلْقِ شَرِيفَ الْفِعْلِ وَالْعِرْقِ لِيَسْتَوْفِيَ الشَّيْخُ فِي يَوْمِهِ أَجْرَ الصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ جَزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَلِيَكُونَ قَدْ قَضَى اللهَ تَعَالَى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ مِنْ طَرَفَيِ الْعُبُودِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هذِهِ الْحَادِثَةُ خَاتِمَةَ حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَسَاقَةَ عَسَاكِرِ النُّقْصَانِ فَلاَ يَرَى بَعْدَهَا فِي تِلْكَ الدَّارِ الشَّرِيفَةِ إِلاَّ مَوْهِبَةً مَسْظَرَفَةً وَفَائِدَةً مُسْتَجَدَّةً مُسْتَأْنَفَةً حَتَّى يَشْغَلَ بِالتَّهَانِيْ عَنِ التَّعَازِي وَبِالْمَدَائِحِ عَنِ الْمَرَاثِي.

وكتب عبدُ الحميدِ بنُ يحيى[1] عن مروان إلى هشامٍ يعز بهِ بامرأةٍ من حظاياهُ

إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمْتَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُنْسِيَّتِهِ وَقَرِينَتِهِ إِمْتَاعًا

(١) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامرى بالولاء المعروف بالكاتب عالم بالأدب من أئمة الكتاب. كان جده مولى للعلاء بن وهب العامرى، فنسب إلى بنى عامر يضر به المثل فى البلاغة وغنه أخذ المترسلون. أصله من قيسارية، سكن الشام واختص بمروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية فى المشرق ويقال: "فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد" وكان يعقوب بن داود يكتب بين يديه وعليه تخرج. له "رسائل" تقع فى نحو ألف ورقة طبع بعضها وهو أول من الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب ولما قوى أمر العباسيين وشعر مروان بزوال ملكه قال لعبد الحميد قد احتجت أن تصير إلى عدوى وتظهر الغدر بى وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلى حسن الظن بك فأبى عبد الحميد مفارقته وبقى معه إلى أن قتلا معًا فى بوصير بمصر سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١/ ٣٠٧، الوزراء والكتاب ٧٢ – ٨٣، الشريشى ٢/ ٢٥٣، ثمار القلوب ١٥٥، أمراء البيان ١/ ٣٨ – ٩٨.

مُدَّةً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ مَوَاهِبُ اللهِ وَعَارِيَّتُهُ قَبَضَ إِلَيْهِ الْعَارِيَّةَ ثُمَّ أَعْطَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَالصَّبْرِ عِنْدَ ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي الْمُنْقَلَبِ وَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ وَأَسْنَى فِي الْعِوَضِ فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وكتبَ أبو إسحاقَ الصابىءُ إلى محمَّدِ بنِ العَبَّاسِ يعزّ بهِ بطفلٍ

أَلدُّنْيَا أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الرَّئِيسِ أَقْدَارٌ تَرِدُ ى أَوْقَاتِهَا وَقَضَايَا تَجْرِى إِلَى غَايَاتِهَا وَلاَ يُرَدُّ مِنْها شَىْءٌ عَنْ مَدَاهُ وَلاَ يُصَدُّ عَنْ مَطْلَبِهِ وَمَنْحَاهُ فَهِىَ كَالسِّهَامِ الَّتِى تَثْبُتُ فِى الأَغْرَاضِ وَلاَ تَرْجِعُ بِالإِعْتِرَاضِ وَمَنْ عَرَفَ ذلِكَ مَعْرِفَةَ الرَّئِيسِ لَمْ يَأْشَرْ عِنْدَ الزِّيَادَةِ وَلَمْ يَقْنَطْ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ وَأَمِنَ أَنْ يَسْتَخِفَّ أَحَدُ الطَّرَفَيْنَ حُكْمَهُ وَيَسْتَنْزِلَ أَحَدُ الأَمْرَيْنِ حَزْمَهُ وَلَمْ يَدَعْ أَنْ يُوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى النَّازِلَةِ قَبْلَ نُزُولِهَا. وَيَأْخُذَ الأُهْبَةَ لِلْحَالَةِ قَبْلَ حُلُولِهَا وَأَنْ يُجَاوِرَ الْخَيْرَ بِالشُّكْرِ وَيُسَاوِرَ الْمِحْنَةَ بِالصَّبْرِ فَيَتَخَيَّرَ فَائِدَةَ الأُولَى عَاجِلاً وَيَسْتَمْرِىءَ عَائِدَةَ الأُخْرَى آجِلاً. وَقَدْ نَفَذَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ تَعَالَى فِى الْمَوْلَى الْجَلِيلِ قَدْرًا الْحَدِيثِ سِنًّا مَا أَرْمَضَ وَأَمَضَ وَأَقَضَّ وَأَقْلَقَ وَأَمَضَّ وَمَسَّنِى مِنَ التَّأَلُّمِ لَهُ ما يَحِقُّ عَلَى مِثْلِى مِمَّنْ تَوَالَتْ أَيْدِى الرَّئِيسِ إِلَيْهِ وَوَجَبَتْ مُشَارَكَتُهُ فِى الْمُلِمِّ عَلَيْهِ. فَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَعِنْدَ اللهِ مَنْ نَحْتَسِبُهُ غُضْنًا ذَوَى وَشِهَابًا خَبَا وَفَرْعصا دَلَّ عَلَى أَصْلِهِ وَخَطِّيًّا أَنْبَتَهُ وَشِيجُهُ وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرَطًا صَالِحًا وَذُخْرًا عَتِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لاَ يَنْفَعُ إلا مِثْلُهُ بَيْنَ الْبَنِينَ بِجُودِهِ وَمَجدِهِ وَلَئِنْ كانَ الْمُصَابُ بِهِ عَظِيمًا وَالْحَادِيثُ فِيهِ جَسِيمًا هذَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ نَزَّهَهُ بِالإِحْتِرَامِ عَنِ اقْتِرَافِ الآثَامِ وَصَانَهُ بِالإِحْتِصَارِ عَنْ مُلاَبَسَةِ الأَوْزَارِ فَوَرَدَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا وَصَدَرَ عَنْهَا سَعِيدًا تَقِيَّ الصَّحِيفَةِ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ يَرىءَ السَّاحَةِ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تُدَنِّسْهُ الْجَرَائِرُ وَلَمْ تَعْلَقْ بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكَبَائِرُ قَدْ رَفَعَ اللهُ عَنْهُ دَقِيقَ الْحِسَابِ وَأَسْهَمَ لَهُ الثَّوَابَ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَأَلْحَقَهُ بِالصَّادِقِينَ الْفَاضِلِينَ فِي الْمَعَادِ وَبَوَّأَهُ حَيْثُ فَضَّلَهُمْ مِنْهُ غَيْرِ سَعْيٍ وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا اخْتَارَ ذلِكَ قَبَضَهُ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ وَمُعَايَنَتِه عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَتَضَاعَفُ عِنْدَهَا الْحُرْقَةُ وَحَمَاهُ مِنْ فِتْنَةِ الْمُرَافَقَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْمُفَارَقَةِ وَكَانَ هُوَ الْمُبْقَى لِدُنْيَاهُ وَالوَاجِدَ الذَّخِيرَةَ لأُخْرَاهُ وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ الْمُهَوَّنِ لِلأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلاَ أُوَفِّي التَّوَجُّعَ عَلَيْهِ وَاجِبَ فَقْدِهِ فَهُوَ لَهُ سُلاَلَةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ وَلكِنَّ ذلِكَ طَرِيقُ التَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ التَّعْزِيَةِ

وَالْمَنْهَجُ الْمَسْلُوكُ فِي مُخَاطَبَةِ مِثْلِهِ مِمَّنْ يَقْبَلُ مَنْفَعَةَ الذِّكْرَى وَإِنْ أَغْنَاهُ الإِسْتِبْصَارُ وَلاَ يَأْبَى وُرُودَ الْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَاهُ الإِعْتِبَارُ وَاللهُ تَعَالَى يَقِي الرَّئِيسَ الْمَصَائِبَ وَيُعِيذُهُ مِنَ النَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لاَ تَنَامُ وَيَجْعَلَهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي لاَ يُرَامُ وَيُبْقِيهِ مَوْفُورًا غَيْرَ مُنْتَقَصٍ وَيُقَدِّمُنَا إِلَى السُّوءِ أَمَامَهُ وَإِلَى الْمَحْذُورِ قُدَّامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هذِهِ الدَّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَحْوَالِي وَأَعُدُّهَا مِنْ أَبْلَغِ أَمَانِيِّ وَآمَالِي.

ولمصححه إلى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِعٌ وَأَنَّ الأَعْمَارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِعِ فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنَ الأَقْدَارِ بِفَتْرَةٍ لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرَّزِيئَةُ إِذَا اغْتَالَتْ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَى السَّلاَمَةِ وَإِنْ طَالَتْ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَّةً وَإِنَّ لِلَّيَالِي كَمْنَةً وَوَثْبَةً وَمِثْلُكَ مَنْ أَدْرَاكَ مَبَادِئَ الأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا وَإِنَّمَا الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُودِ وَلاَ أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالْكَوْنِ وَشَرَائِعِهِ وَالْكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرَى لِمَنْ فَجِئَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ وَحَلَّ بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ وَمِنَ النَّأْسِيَةِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ حَالِ مَنْ يُخَاطِبُكَ

وهو سائل الجراح وَمَا أَخْلَقَنِي بِأَنْ أَقُولَ إِنَّ رُزْءَكَ هذا قَدْ زَادَنِي شجنا علَى أشجَانِي وَنَكَأَ مَا تَمَاثَلَ مِنْ قُرْحَةِ أَحْزَانِي وَلكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إِلَى حالٍ لاَ تَعْمَل فِيهَا حَاللٌ وَلاَ أُبَالِي مَعَهَا بِسِلْمٍ وَلا قِتَال فَكَأَنَّمَا إِيَّاىَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ:

رمانـــى الدَّهْـــرُ بِالأَرْزَاءِ حَتَّى
فُؤَادِى فِـى غِشَـاءٍ مِـنْ نِبَـالِ
فَصِـرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِـــى سِهَامٌ
تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَـالِ

عَلَى أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مُعَزٍّ لَمْ يَزِدْهُ كَلاَمُ الْمُعَزِّيـنَ عَلَـى إِذْكَـارِ مُصَابِهِ
وَتَجْدِيـدِ لَوْعَتِـــهِ وَاكْتِئَابِـــهِ
وهٰهُنَـــا امْتِحَـــانُ الرِّجَـــالِ
وَمَوْطِـنُ الصَّـبْرِ وَالإِحْتِمَـالِ
والْمَـرْءُ بِأَعَـزِّ مَا لَدَيْهِ يُمْتَحَنْ
والصَّـبْرُ عَلَـى مِقْـدَارِ الْهِمَـمِ
وَالْفِطَـنْ وَإِنَّ الأَحْـزَانَ مَعْقُودَةٌ
أَطْرَافُهَـا بِالْعَـزَاءِ مَوْصُـولَةٌ

أَوَاخِرُهَـا بِالتَّأْسَـاءِ فَاجْعَـلِ
الآخِـــرَةَ الأُولَـى وَلاَ تُبَلِّـغِ
الدَّهْـرَ مِـنْ نَفْسِـكَ مَأْمُـولاً
وَاللهَ أَسْـأَلُ أَنْ يُقَيِّـضَ لَنَـا
بِسَلاَمَتِكَ عِوَضًا كَرِيمًا وَيَصُونَ
بَيْتَكُمْ وَآلَـهُ مِـنْ كُـلِّ كَارِثَـةٍ
سَلِيمًـا وَيُفْـرِغَ عَلَـى قُلُوبِكُـمْ
صَبْرًا جَمِيـلاً وَعَلَى مَنْ فَقَدْتُمْ
عَفْوًا عَمِيمًا بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِي الخُطَبِ

خطبةٌ للإمام عليٍّ وهي المعروفة بالزهرآءِ

أَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَـيْءٍ وَبَدِيُهُ وَمُنْتَهَى كُلِّ شَـيْءٍ وَوَلِيُّهُ وَكُلِّ شَـيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ ضَارِعٌ إِلَيْهِ وَكُلُّ شَـيْءٍ مُسْـتَكِينٌ لَهُ خَشَـعَتْ لَهُ الأَصْوَاتُ وَكَلَّتْ دُونَهُ الصِّفَاتُ وَضَلَّتْ دُونَهُ الأَوْهَامُ وَحَارَتْ دُونَهُ الأَفْهَامُ وَانْحَسَـرَتْ دُونَهُ الأَبْصَارُ لاَ يَقْضِي فِي الأُمُورِ غَيْرُهُ وَلاَ يَتِمُّ شَـيْءٌ مِنْهَا دُونَهُ سُـبْحَانَهُ مَا أَجَلَّ شَانَهُ وَأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ الْعُلَى وَمَـنْ فِي الأَرْضِ السُّـفْلَى لَهُ التَّسْـبِيحُ وَالْعَظَمَةُ وَالْمُلْـكُ وَالْقُدْرَةُ وَالْحَـوْلُ وَالْقُوَّةُ يَقْضِي بِعِلْمٍ وَيَعْفُو بِحِلْـمٍ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُـوفٍ وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَوَلِيُّ كُلِّ نِعْمَـةٍ كُلِّ نِعْمَةٍ وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَـنَةٍ وَكَاشِـفُ كُلِّ كُرْبَةٍ الْمُطَّلِعُ عَلَى كلِّ خَفِيَّةٍ الْمُحْصِي كُلَّ سَـرِيرَةٍ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَمَا يُرْخَى عَلَيهِ السُّتُورُ الرَّحِيمُ بِخَلْقِـهِ الـرَّؤُوفُ بِعِبَادِهِ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ سَمِعَ كَلاَمَهُ وَمَنْ سَـكَتَ

مِنْهُمْ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ فَعَلَيهِ رِزْقُهُ وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَإِلَيْهِ مَصِيرُهُ أَحَطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ حِفْظُهُ أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَدَ مَا تُحْيِي وَتُمِيتُ وَعَدَدَ أَنفَاسِ خَلْقِكَ وَلَفْظِهِمْ وَلَحْظِ أَبْصَارِهِمْ وَعَدَدَ مَا تَجْرِي بِهِ الرِّيحُ وَتَحْمِلُهُ السَّحَابُ وَيَخْتَلِفُ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَيَسِيُر بِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ حَمْدًا لاَ يَنْقَضِي عَدَدُهُ وَلاَ يَفْنَى أَمَدُهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ وَأَنْتَ وَارِثُ كُلِّ شَيْءٍ أَحاطَ عِلْمُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ يُعْجِزُكَ شَيْءٌ وَلاَ يَتَوَارَى عَنْكَ شَيْءٌ وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَتَكَ وَلاَ يَشْكُرُكَ أَحَدٌ حَقَّ شُكْرِكَ وَلاَ تَهْتَدِي الْعُقُولُ إِلى صِفَتِكَ وَلاَ تَبْلُغُ الأَوْهَامُ حَدَّكَ حَارَتِ الأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ فَلَمْ تَرَكَ عَيْنٌ فَتُخْبِرَ عَنْكَ كَيْفَ أَنْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ لاَ تَعْلَمُ اللهُمَّ كَيْفَ عَظَمَتُكَ غَيْرَ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ وَلاَ يَقْدِرُ قُدْرَتَكَ مَلَكٌ وَلاَ بَشَرٌ أَدْرَكْتَ الأَبْصَارَ وَكَتَمْتَ الآجَالَ وَأَحْصَيْتَ الأَعْمَالَ وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ. لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِحَاجَةٍ وَلاَ لِوَحْشَةٍ مَلأْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَظَمَةً فَلاَ يُرَدُّ مَا أَرَدْتَ وَلاَ يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عِلْمُهُ وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَاهِدُهُ فَلَمْ يَسْتَتِرْ

عَنْكَ شَـيْءٌ كَقُدْرَتِكَ عَلَى ما قَضَيْتَ وَقُدْرَتُك عَلَى الْقَوِىِّ كَقُدْرَتِكَ عَلَى الضَّعِيفِ وَقُدرْتُكَ عَلَى الأَحيْاءِ كَقُدْرَتِكَ عَلَى الأَمْوَاتِ فَإِلَيْكَ الْمُنْتَهَـى وَأَنْـتَ الْمَوْعِدُ لاَ مَنْجَى إلاَّ إِلَيْكَ بِيَـدِكَ ناصِيةُ كُلِّ دَابَّةٍ وَبِإِذْنِـكَ تَسْـقُطُ كُلُّ وَرَقَةٍ لاَ يَغْرُبُ عَنْكَ مِثْقَـالُ ذَرَّةٍ أَنْتَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا يُرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَعْظَمَ مَا يُرَى مِنْ مَلَكُوتِـكَ وَمَا أَقَلَّهُما فِيمَا غَـابَ عَنَّا مِنْهُ وَمَا أَسْـبَغَ نِعْمَتَكَ فِى الدُّنْيَـا وَأَحْقَرَهَا فِى نَعِيمِ الآخِرَةِ وَمَا الَّذِى تَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْتَبِرُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَنَصِفُ مِنْ سُـلْطَانِكَ فِيمَا يَغِيبُ عَنَّا مِنْهُ مِمَّا قَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْـهُ وَكانَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ وَحَالَـتِ الْغُيُوبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَمَـنْ قَرَعَ سِـنَّهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَـكَ وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَـكَ وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِى الْهَوَاءِ سَماوَاتِـكَ وَكَيْفَ مَدَدْتَ أَرْضَكَ وَكَيْـفَ عَلَّقْتَ فِى الْهَوَاءِ سَماوَاتِكَ وَكَيْـفَ مَدَدْتَ أَرْضَكَ يَرْجِعُ طَرْفُهُ حاسِـرًا وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا وَسَمْعُـهُ وَالِهًا وَفِكْرُهُ مُتَحَيِّرًا فَكَيْفَ يَطْلُـبُ عِلْمَ مَا قَبْلَ ذلِكَ مِنْ شَـأْنِكَ إِذْ أَنْتَ وَحْدَكَ فِى الْغُيُوبِ الَّتِـى لَمْ يَكُـنْ فِيهَا غَيْرُكَ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا سِـوَاكَ لاَ أَحَدٌ شَـهِدَكَ حِـينَ فَطَرْتَ الْخَلْقَ وَلاَ أَحَدٌ حَضَرَكَ حِينَ ذَرَأْتَ النُّفُوسَ فَكَيْفَ لاَ يَعْظُمُ شَـأْنُكَ عِنْدَ مَنَ عَرَفَكَ وَهُـوَ يَرَى مِنْ خَلْقِكَ مَا تَرْتَاعُ بِهِ

عُقُولُهُمْ وَيَمْلأُ قُلُوبَهُمْ مِنْ رَعْدٍ نَفْزَعُ لَهُ الْقُلُوبُ وَبَرْقٍ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ وَملاَئِكَةٍ خَلَقْتَهُمْ وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَلَيْس فِيهِمْ فَتْرَةٌ وَلاَ عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ وَلاَ بِهِمْ مَعْصِيَةٌ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَأَخْوَفُهُم لَكَ وَأَقْوَمُهُمْ بِطَاعَتِكَ لَيْسَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلاَ سَهْوُ الْعُقُولِ لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلاَبَ وَلَمْ تَضُمُّهُمُ الأَرْحَامُ أَنْشَأْتَهُمْ إِنْشَاءً وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَأَكْرَمْتَهُمْ بِجِوَارِكَ وَأْتَمَنْتَهُمْ عَلَى وَحْيِكَ وَجَنَّبْتَهُمْ الآفَاتِ وَوَقَيْتَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ فَلَوْلاَ تَقْوِيَتُكَ لَمْ يَقْوَوْا وَلَوْلاَ تَثْبِيتُكَ لَمْ يَثْبُتُوا وَلَوْلاَ رَهْبَتُكَ لَمْ يُطِيعُوا وَلَوْلاَكَ لَمْ يَكُونُوا أَمَا إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِتِهِمْ مِنْكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ وَطُولِ طَاعَتِهِمْ إِيَّاكَ لَوْ يُعَايِنُونَ مَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ لاَحْتَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ وَلَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يُعَايِنُونَ مَا يخْفَى عَلَيْهِمْ لاَحْتَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ وَلَعلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ فَسُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا وَمَحْمُودًا بِحُسْنِ بَلاَئِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ أَنْتَ خَلَقْتَ مَا دَبَّرْتَهُ مَطْعَمًا وَمَشْرَبًا ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيَنَا إِلَيْنَا فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَبْنَا وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَنَا فِيهِ رَغِبْنَا وَلاَ إِلَى مَا شَوَّقْتَنَا إِلَيْهِ اشْتَقْنَا أَقْبَلْنَا كُلُّنَا عَلَى جِيفَةٍ نَأْكُلُ مِنْهَا وَلاَ نَشْبَعُ وَقَدْ زَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ حِرْصًا لِمَا يَرَى بَعْضُنا مِنْ بَعْضٍ فَافْتَضَحْنَا بِأَكْلِهَا وَاصْطَلَحْنَا

عَلَـى حُبِّهَا فَأَعْمَتْ أَبْصَارَ صَالِحِنَـا وَفُهَائِنَا فَهُمْ يَنْظُرُونَ بِأَعْيُنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ وَيَسْـمَعُونَ بِآذَانٍ غَيْرِ سَمِيعَـةٍ فَحَيْثُمَا زَالَتْ زَالُوا مَعَهَـا وَحَيْثُمَا مَالَتْ أَقْبَلُوا إِلَيْهَا وَقَدْ عَايَنُوا الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغِرَّةِ كَيْـفَ فِجِئَتْهُمُ الأُمُـورُ وَنَزَلَ بِهِـم الْمَحْذُورُ وَجَاءَهُـمْ مِنْ فِرَاقِ الأَحِبَّـةِ مَا كَانُـوا يَتَوَقَّعُونَ وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ مَـا كَانُوا يُوعَدُونَ فَارَقُـوا الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلَى الْقُبُورِ وَغَرَفُوا مَـا كَانوا فِيهِ مِنَ الْغُرُورِ فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ حَسْـرَتَانِ حَسْرَةُ الْفَوْتِ وَحَسْرَةُ الْمَوْتِ فَاغْبَرَّتْ لَهَـا وُجُوهُهُـمْ وَتَغَـيَّرَتْ بِهِـا أَلْوَانُهُـمْ وَعَرِفَتْ بِهَـا جِبَاهُهُمْ وَشَـخَصَتْ أَبْصَارُهُمْ وَبَرَدَتْ أَطْرَافُهُـمْ وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْمَنْطِقِ وَإِنَّ أَحَدَهُـمْ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِنَصَرِهِ وَيَسْـمَعُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جِدِّهِ حَتَّى خَالَطَ بَصَـرَهُ فَذَهَبَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ وَهَلَكَتْعِنْدَ ذَلِكَ حُجَّتُـهُ وَعَايَنَ هَوْلَ أَمْرٍ كَانَ مُغَطًّى عَلَيْهِ فَأَحَدٌ لِذِلِكَ بَصَرَهُ ثُـمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جِدِّهِ حَتَّى بَلَغَتْ نَفْسُـهُ الْحُلْقُومَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جَسَدًا مُلْقى لاَ يُجِيبُ دَاعِيًا وَلاَ يَسْمَعُ بَاكِيًا فَنَزَعُوا ثِيَابَهُ وَخَاتَمَهُ ثُمَّ وَضَّأُوهُ وُضُوءَ الصَّلاَةِ ثُمَّ غَسَـلُوهُ وَكَفَّنُوهُ إِدْرَاجًا فِـي أَكْفَانِهِ وَحَنَّطُوهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى قَـبرٍ فَدَلَّوهُ فِي حَفْرَتِهِ وَتَرَكُوهُ مُخَلًّـى بِمُقَطَّعَاتٍ مِنَ الأُمُورِ مَعَ ظُلْمَةٍ وَضِيقٍ وَوَحْشَـةِ قَبْرٍ فَذَاكَ

مَثْـوَاهُ حَتَّى يَبْلَى جَسَـدُهُ وَيَصِيرَ تُرَابًا حَتَّـى إِذَا بَلَغَ الأَمْرُ إِلَى مِقْـدَارِ وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْـقِ بِأَوَّلِهِ وَجَاءَهُ أَمْرٌ مِـنْ خَالِقِهِ أَرَادَ بِهِ تَجْدِيـدَ خَلْقِهِ فَأَمَرَ بِصَوْتٍ مِنْ سَمَاوَاتِهِ فَمَارَتِ السَّـمَاوَاتُ مَوْرًا وَفَـزِعَ مَنْ فِيهَا وَبَقِيَ مَلاَئِكَتُهَا عَلَـى أَرْجَائِهَا ثُمَّ وَصَلَ الأَمْرُ إِلَى الأَرْضِ وَالْخَلْقُ رُفَاتٌ لاَ يَشْعُرُونَ فَأَرْعَجَ أَرْضَهُمْ وَأَرْجَفَهَا وَزَلْزَلَهَا وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَـفَهَا وَسَـيَّرَهَا وَرَكِبَ بَعْضُهَـا بَعْضًا مِنْ هَيْبَتِهِ وَجَلاَلِـهِ وَأَخْرَجَ مَـنْ فِيهَا فَجدَّدَهُـمْ بَعْدَ بِلاَهُـمْ وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِـمْ يُرِيدُ أَنْ يُحْصِنَيهُمْ وَيُمَيِّزَهُـمْ فَرِيقًا فِي ثَوَابِهِ وَفَرِيقًا فِي عِقَابِهِ فَخَلَّدَ الأَمْرَ لأَبَدِهِ دَائِمًا خَيْرُهُ وَشَـرُّهُ ثُمَّ لَمْ يَنْسَ الطَّاعَةَ مِنَ الْمُطِيعِـيَن وَلاَ الْمَعْصِيَـةَ مِنَ الْعَاصِينَ فَأَرَادَ عَـزَّ وَجَلَّ أَنْ يُجَازِيَ هَـؤلاَءِ وَيَنْتَقِمَ مِنْ هَـؤُلاَءِ فَأَثَابَ أَهْلَ الطَّاعَةِ بِجوَارِهِ وَحُلُولِ دَارِهِ وَعَيْـشِ رَغَدٍ وَخُلُودِ أَبَدٍ وَمُجَاوَرَةِ الـرَّبِ حَيْثُ لاَ ظَعْنَ وَلاَ تَغَيُّرَ وَحَيْثُ لاَ تُصِيبُهُمُ الأَحْزَانُ وَلاَ تَعْتَرِضُهُمُ الأَخْطَارُ وَلاَ تَشْـخصُ مِنْهُـمُ الأَبْصَارُ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَخَلَّدَهُمْ فِـي النَّارِ وَأَوْثَقَ مِنْهُمُ الأَقْدَامَ وَغُلَّتْ مِنْهُمُ الأَيْدِي إِلَى الأَعْنَاقِ فِي لَهَبٍ قَدِ اشْـتَدَّ حَرُّهُ وَنَـارٍ مُطْبِقَـةٍ عَلَى أَهْلِهَا لاَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ بِهَا رَوْحٌ هَمُّهُمْ شَـدِيدٌ وَعَذَابُهُـمْ يَزِيدُ وَلاَ مُدَّةَ لِلدَّارِ تَنْقَضِي وَلاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ يَنْتَهِي أَللَّهُمَّ

إِنِّى أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْفَضْلَ وَالرَّحْمَةَ بِيَدِكَ فَأَنْتَ وَلِيُّهُما لاَ يَلِيهِمَا أَحَدٌ غَيْرَكَ وَأَسْـأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ الَّذِى قَامَ بِهِ عَرْشُكَ وَكُرْسِـيُّكَ وَسَمَاوَاتُـكَ وَأَرْضُكَ وَبِهِ ابْتَدَعْتَ خَلْقَـكَ الصَّلاَةَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ آمِينَ إِنَّكَ وَلِيٌّ كَرِيمٌ.

ولهُ أيضًا

أُوصِيكُـمْ عِبَادَ اللهِ وَنَفْسِـى بِتَقْوَى اللهِ وَلُـزُوم طَاعَتِهِ وَتَقْدِيم الْعَمَـلِ وَتَـرْكِ الأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ فَـرَّطَ فِى عَمَلِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ. بِشَـىْءٍ مِـنْ أَمَلِهِ أَيْنَ التَّعِبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَـارِ الْمُتْجِمُ لُجَيحَ الْبِحَارِ وَمَفَاوِزَ الْقِفَارِ يَسِـيرُ مِنْ وَرَاءِ الْجِبَالِ وَعَالِجِ الرِّمَـالِ يَصِلُ الْغُدُوَّ بِالرَّوَاحِ وَالْمَسَـاءَ بِالصَّبَاحِ فِى طَلَبِ مُحْتَقَرَاتِ الأَرْبَاحِ هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ فَعَظُمَتْ بِنَفْسِـهِ رَزِيَّتُـهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا أَكْتَسَـبَ غُرُورًا وَوَافَى الْقِيَامَةَ مَحْسُورًا أَيُّهَات اللاَّهِى الْغَارُّ بِنَفْسِهِ كَأَنِّى بِكَ وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لاَ يَقْرَعُ لَك بَابًا وَلاَ يَهَابُ لَكَ حَجَابًا وَلاَ يَقْبَلُ مِنْـكَ بَدِيلاً وَلاَ يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلاً وَلاَ يَرْحَـمُ لَك صَغِيرًا وَلاَ يُوَقِّرُ فِيـكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّيَكَ إِلَى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوحِشَـةٌ كَفِعْلِهِ بِالأُمَـمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُـرُونِ الْمَاضِيَةِ أَيْنَ مَنْ سَـعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَع

وَعَدَّدَ وَبَنَى وَشَـيَّدَ وَزَخْـرَفَ وَنَجَّدَ وَبِالْقَلِيـلِ لَمْ يَقْنَعْ وَبِالْكَثِيرِ لَمْ يُمَتِّـعْ أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَـرَ الْبُنُـودَ أَضْحَوْا رُفَاتًا تَحْتَ الثَّرَى أَمْوَاتًا وَأَنْتُمْ بِكَأْسِـهِمْ شَارِبُونَ وَلِسَبِيلِهِمْ سَالِكُونَ عِبَادَ اللهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَرَاقِبُوهُ وَاعْمَلُوا لِلْيَوْمِ الَّذِى تَسِـيُر فِيهِ الْجِبَالُ وَتَشَقَّقُ السَّـمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتَطَايَرُ الْكُتُبُ عَنِ الأَيْمَانِ وَالشَّـمَائِلِ فَأَىَّ رَجُلٍ يَوْمَئِذٍ تَرَاكَ أَقَائِلٌ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ أَمْ يَا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ نَسْأَلُ مَنْ وَعَدَنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنُّتَهُ أَنْ يَقِيَنَا سُخْطَهُ إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيـثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللهِ الَّذِى لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

خطبةٌ للحجَّاج[1] حين ولّاهُ عبد الملك بن مروان[2] العراق وامرهُ أن يحشر الناس إلى المهلَّب[3] فى حرب الازارقة

(١) هـو الحجاج بن يوسـف بن الحكم الثقفى أبو محمد قائد داهية سـفاك، خطيب ولد سـنة ٤٠ هـ/ ٦٦٠ ونشـأ فى الطائف بالحجاز وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان، فكان فى عديد شـرطته ثم مازال يظهر حتى قلده عبد الملك بن مروان أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائـف ثـم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيـه فانصرف إلى بغداد فى ثمانة أو تسـعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبت له الإمارة عشـرين سـنة وبنى مدينة واسط "بين الكوفة والبصرة" وكان سفاكًا سفاحًا باتفاق معظم المؤرخين.

انظر المزيد فى: معجم البلدان ٨/ ٣٨٢، وفيات الأعيان ١/ ١٢٣، مروج الذهب ٢/ ١٠٣ – ١١٩، تهذيب التهذيب ٢/ ٢١٠، تهذيب ابن عساكر ٤/ ٤٨، الكامل ٤/ ٢٢٢، البدء والتاريخ ٦/ ٢٨.

(٢) هـو عبـد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشـى أبو الوليد، من أعظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ فى المدينة فقيها واسع المعرفة والعلم، متعبدًا ابن ١٦ عامًا وانتقلت الخلافة بموت أبيه سـنة ٦٥ هـ فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جبارًا معانديه قوى الهيبة. مات سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م.

انظـر المزيد فى: الكامـل ٤/ ١٩٨، تاريخ الطـبرى ٨/ ٥٦، تاريخ اليعقوبى ٣/ ١٤، ميزان الاعتدال ٢/ ١٥٣، المحبر ٣٧٧.

(٣) هـو المهلـب بن أبى صفرة ظالم بن سـراق الأزدى العتكى أبو سـعيد أمير بطاش جواد. ولد سنة ٧ هـ/ ٦٢٨ م ومات سنة ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م قال فيه عبد الله ابن الزبير: هذا سيد أهل العراق.

انظر المزيد فى: الإصابة ت ٨٦٣٥، وفيات الأعيان ٢/ ١٤٥، الكامل ٤/ ١٨٣، سرح العيون ١٠٣، تاريخ الطبرى ٨/ ١٩.

أَنَـا ابْـنُ جَـلاَ وَطَـلاَّعُ الثَّنَايَـا
مَتَـى أَضَـعِ الْعِمَامَـةَ تَعْرِفُونِـى
صَلِيبُ الْعُـودِ مِـنْ سَلَفَىْ نِزَارٍ
كَنَصْلِ السَّيْفِ وَضَّاحُ الْجَبِينِ
وَمَـاذَا تَبْتَغِـى الشُّـعَرَاءُ مِنِّـى
وَقَـدْ جَـاوَزْتُ حَـدَّ الأَرْبَعِـينِ
أَخُـو خَمْسِـينَ مُجْتَمِـعٌ أَشُدِّى
وَتُنْجِدُنِـى مُـدَاوَرَةُ الشُّـؤُونِ
أَمَا وَاللهِ إِنِّى لأَحْمِلُ الشَّرَّ بِحِمْلِهِ
وَأَحْـذُوهُ بِنَعْلِـهِ وَأَجْزِيـهِ
بِمِثْلِـهِ وَإِنِّـى لأَرَى رُؤُوسًا قَـدْ
أَيْنَعَـتْ وَحَـانَ قِطَافُهَـا وَإِنِّـى
لَصَاحِبُهَـا وَإِنِّـى لأَنْظُـرُ الدِّمَـاءَ
بَيْـنَ الْعَمَائِـمِ وَاللِّحَـى تَتَرَقْـرَقُ
قَـدْ شَـمَّرَتْ عَـنْ سَاقِهَا فَشَمِّرِى
هـذَا أَوَانُ الْحَـرْبِ فَاشْتَدِّى رِيَـمْ
قَـدْ لَفَّهَـا اللَّيْـلُ بِسَـوَّاقٍ حُطَـمْ
لَيْـسَ بِرَاعِـى إِبِـلٍ وَلاَ غَنَـمْ

وَلاَ بِجَــزَّارٍ عَلَــى وَضَــمْ

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصْلَبِيٍّ أَرْوَعَ جَــرَّاحٍ مِــنَ الــدَّوِيِّ

مُهَاجِــرٍ لَيْــسَ بِأَعْرَابِــيٍّ

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا مَــا عِلَّتِى وَأَنَــا شَيْخٌ جَلْــدُ

وَالْقَــوسُ فِيهَــا وَتَــرٌ عِــرِدٌّ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْــرِ أَوْ أَشَــدُّ

وَمَسَــاوِىءِ الأَخْلاَقِ لاَ يُغْمَرُ جَانِبِى كَتَغْمَازِ التِّنِّينِ وَلاَ يُفْعْقَعْ لِى بِالشَّــنَانِ وَلَقَدْ فُرِرْتُ عَنْ ذَكَاءٍ وَفَتَّشْتُ عَنْ تَجرِبَةٍ وَأُجْرِيتُ مَــعَ الغَابَةِ وَإِنَّ أَمِــيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا فَوَجَدَ لِى أَمَرَّهَا عُودًا وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِى إِلَيْكُمْ وَرَمَاكُمْ بِى فَإِنَّهُ قَدْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِى الْفِتَنِ وَسَــنَنْتُمْ سُنَنَ البَغْى وَسَعَيْتُم فِى الضَّلاَلَةِ وَإِيْــمُ اللهِ لأَلْحُوَنَّكُمْ لَحْوَ الْعصَا وَلأَقْرَ عَنْكُمْ قَرْعَ الْمَرْوَةِ وَلأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّــلَمَةِ وَلاَضْرِبَنَّكُمْ قَرْعَ الْمَرْوَةِ وَلأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّــلَمَةِ وَلأَضْرِبَنَّكُــمْ ضَــرْبَ غَرَائِــبِ الإِبِلِ أَمَــا وَاللهِ لاَ أَعِــدُ إِلاَّ وَفَيْتُ وَلاَ أَخْلُقُ إِلاَّ فَرَيْتُ وَإِيَّاىَ وَهذِهِ الزَّرَافَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا يَقُولُونَ وَفِيم أَنْتُمْ وَاللهِ لَتَسْــتَقِمُنَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لأَدَعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُم شُــغْلاً فِى جَسَدِهِ مَنْ وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ مِنْ بَعْتِ الْمُهَلَّبِ سَفَكْتُ دَمَهُ وَانْتَهَبْتُ مَالَهُ وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهَ.

ولهُ أيضًا بعد وقعة دبر الجماجم

يَا أَهْلُ الْعِرَاقِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدِ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ اللَّحْمَ وَالدَّمَ وَالْمَسَامِعَ وَالأَطْرَافَ وَالأَعْضَادَ وَالشِّفَاهَ ثُمَّ مَضَى إِلَى الأَمْخَاخِ وَالأَصْمَاخِ ثُمَّ ارْتَفَعَ فَعَشَّش ثُمَّ بَاضَ وَفَرَّخَ فَحشَاكُمْ شِقَاقًا وَنِفَاقًا وَإِنْ أَشْعَرَكُمْ خِلاَفًا اتَّخَذْتُمُوهُ دَلِيلاً تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ وَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةٌ أَوْ تَعِظُكُمْ وَقْعَةٌ أَوْ يَحْجِزُكُمْ إِسْلاَمٌ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيمَانٌ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالأَهْوَازِ حَيْثُ رُمْتُمُ الْمَكْرَ وَسِعْتُمْ بِالْغَدْرِ وَاسْتَجْمَعْتُمْ لِلْكُفْرِ وَظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلاَفَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ تَنْسُلُونَ لِوَاذًا وَتَنْهَزِمُونَ سِرَاعًا يَوْمَ الزَّاوِيَةِ وَمَا يَوْمُ الزَّاوِيَةِ بِهَا فَشَلُكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبَرَآءَةُ اللهِ مِنْكُمْ وَنُكُوصُ وَلِيِهِ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالإِبِلِ الشَّوَارِدِ إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَازِعِ إِلَى أَعْطَانِهَا لاَ يَسْأَلُ الْمَرْءُ مِنْكُمْ عَنْ أَخِيهِ وَلاَ يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى عَضَّكُمُ السِّلاَحُ وَقَصَمَتْكُمُ الرِّمَاحُ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ وَمَا دَيْرُ الْجَمَاجِمِ وَكَانَتَ الْمَعَارِكُ وَالْمَلاَحِمُ بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ الْكَفَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ وَالْغَدَرَاتِ بَعْدَ الْخَتَرَاتِ وَالثَّوْرَةِ بَعْدَ الثَّوْرَاتِ إِنْ أَبْعَثْكُمْ إِلَى ثُغُورِكُمْ غَلَلْتُمْ

وَخِنْتُـمْ وَإِنْ أَمِنْتُـمْ أَرْجَفْتُـمْ وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُـمْ لاَ تَذْكُرُونَ نِقْمَةً وَلاَ تَشْكُرُونَ بِعْمَةَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَل أَسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ أَو اسْتَغْوَاكُمْ غَاوٍ أَو اسْـتَفَزَّكُمْ عَاصٍ أَوَ اسْـتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ أَوِ اسْتَعْصَدَكُمْ خَالِعٌ إِلاَّ وَثَّقْتُمُوهُ وَآوَيْتُمُوهُ وَعَزَّزْتُمُـوهُ وَنَصَرْتُمُوهُ وَرَضِيتُمُوهُ وَأَرْضَيْتُمُوهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَل شَـغَبَ شَـاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ أَوْ نَفَرَ زَافِـرٌ إِلاَّ كُنْتُمْ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ يَا أَهْـلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنْهَكُمُ الْمَوَاعِـظُ أَلَمْ تَزْجُرْكُمُ الْوَقَائِعُ يَا أَهْلَ الشَّـأْمِ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الـذَّابِّ عَنْ فِرَاخِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْمَدَرَ وَيباعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ وَيَكُنُّهَا مِنَ الْمَطَرِ وَيَحْمِيهَا مِنَ الضِّبَابِ وَيَحْرُسُـهَا مِـنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ الشَّأْمِ أَنْتُمُ الْجُبَّةُ وَالرِّدَآءُ وَأَنْتُمُ الْعُدَّةُ وَالْحِذَآءُ.

وله لما أصيب بولدهِ واخيهِ محمد

أَيُّهَـا النَّاسُ مُحَمَّدَانِ فِي يَوْمٍ وَاحِـدٍ أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنَّهُمَا مَعِي فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا أَرْجُو لَهُمَا مِنْ ثَوَابِ اللهِ فِي الآخِرَةِ وَايْمُ اللهِ لَيُوشِكَنَّ الْبَاقِي مِنَّا وَمِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ وَأَنْ تُذَالَ الأَرْضُ مِنَّا كَمَا أُذِلْنَا مِنْهَا فَتَأْكُلَ مِنْ لُحُومِنَا وَتَشْـرَبَ مِنْ دِمَآئِنَا كَمَا مَشَيْنَا عَلَى ظُهْرِهَا وَأَكَلْنَا مِنْ ثِمَارِهَا وَشَـرِبْنَا مِنْ مَآئِهَا ثُمَّ يَكُونَ مَا قَالَ اللهُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمُ يَنْسُلُونَ.

عَزَآئِـى نَبِـىُّ اللهِ مِـنْ كُـلِّ مَيِّـتٍ

وَحَسْبِى ثَوَابُ اللهِ مِـنْ كُلِّ هَالِكِ

إِذَا مَـا لَقِيـتُ اللهَ عَنِّـىَ رَاضِيًـا

فَـإِنَّ سُـرُورَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكِ

ولعتبة بن أبى سفيان[1]

يَا أَهلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَاتَبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَظُبَاتِ السُّـيُوِ حَتَّى صِرْنَا شَجىً فِى لَهَاكُمْ مَا تُسِيغُهُ حُلُوقُكُمْ وَأَقْذَآءً فِـى أَعْيُنِكُمْ مَا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ أَفَحِينَ اشْـتَدَّتْ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْـتَرخَتْ عُقَدُ الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلاًّ أَرْجَفْتُمْ

---

(١) هـو عتبة بن أبى سـفيان صخر بن حرب بـن أمية بن عبد شمس أمـير مصـر وليها من قبـل أخيه معاوية، فقدمها سـنة ٤٣ هـ. ثم خرج إلى الإسـكندرية مرابطًـا فابتنـى دارًا فى حصنها القديم وتوفى بها سـنة ٤٤ هـ/ ٦٦٤ م كان عاقلاً فصيحًا مهيبًا من فحول بنى أمية. شهد مع عثمان يوم الدار وشهد يوم الجمل مع عائشة وفقئت عينه وحج بالناس سنة ٤١ هـ وقيل سنة ٤٢ هـ. قال الأصمعى: الخطباء من بنى أمية عتبة بن أبى سفيان وعبد الله بن مروان.

انظـر المزيد فى: نسـب قريش ١٢٥، النجوم الزاهـرة ١/ ١٢٢ - ١٢٤، رغبة الآمل ٤/ ٣٣ ثم ٨/ ١٥٩ و ٢٧١.

بِالْخَلِيفَـةِ وَأَرَدْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلاَفَةِ وَخُضْتُـمُ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَقْدَمُ عَهْدِكُمْ بِهِ حَدِيثٌ فَارْبَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ فَهذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ السَّـارِّ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَبْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْلِحُوا لَنَا مَـا ظَهَرَ وَنَكِلُكُمْ إِلَى اللهِ فِيمَا بَطَنَ وأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ شَـرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَـى اللهِ أَتَوَكَّلُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ.

ولهُ أيضًا

يَا حَامِلِي أَلأَم أُنُوفٍ رُكِبَتْ بَيْنَ أَلأَم أَعْيُنٍ إِنَّمَا قَلَّمْتُ أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسِّـي إِيَّاكُمْ وَسَـأَلْتُكُمْ صَلاَحَكُمْ اذْ كَانض فَسَادُكُمْ رَاجِعًـا عَلَيْكُـمْ فَأَمَّا إِذْا أَبَيْتُـم إِلاَّ الطَّعْنَ عَلَى الْـوُلاَةِ وَالتَّنَقُّصَ لِلسَّـلَفِ فَوَاللهِ لأَقْطَعَنَّ عَلَى ظُهُورِكُمْ بِطُونَ السِّيَاطِ فَإِنْ حَسَمَتْ دَآءَكُمْ وَإِلاَّ فَالسَّيْفُ مِنْ وَرَآئِكُمْ وَلَسْتُ أَبْخُلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذا جُدْتُمْ بِالْمَعْصِيَةِ وَلاَ أُوئِسُـكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحُسْـنَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبَرُّ وَأَتْقَى

ولشَبيب بن شبَّة[1]

أَلاَ إِنَّ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَشْبَاهًا أَرْبَعَةً الأَسَدَ الْخَادِرَ وَالْبَحْرَ الزَّاخِرَ وَالْقَمَرَ الْبَاهِرَ وَالرَّبِيعَ النَّاضِرَ فَأَمَّا الأَسَدُ الْخَادِرُ فَأَشْبَهَ مِنْهُ صَوْلَتَهُ وَمَضَآءَهُ وَأَمَّا الْبَحْرُ الزَّاخِرُ فَأَشْبَهَ مِنْه] جُودَهُ وَعَطَآءَهُ وَأَمَّا الْقَمَرُ الْبَاهِرُ فَأَشْبَهَ مِنْهُ نُورَهُ وَضِيَآءَهُ وَأَمَّا الرَّبِيعُ النَّاضِرُ فَأَشْبَهَ مِنْهُ حُسْنَهُ وَبَهآءَهُ.

ثُمَّ نَزَلَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ

وَمَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيفِ قُمْتُ بِهِ
أَحْمِي الذِّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ
فَمَا زَلِقْتُ وَمَا آلَيْتُ كَاذِبَةً
إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلِقُوا

---

(١) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمى المنقرى الأهتمى أبو معمر أديب الملوك وجليس الفقراء، وأخو المساكين. من أهل البصرة، كان يقال له "الخطيب" لفصاحته وكان شريفًا من الدهاة، ينادم خلفاء بنى أمية ويفزع إليه أهل بلده فى حوائجهم. مات سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م.

انظر المزيد فى: ميزان الاعتدال ١/ ٤٤١، ثمارالقلوب ٢٢، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٠٧، البيان والتبيين ١/ ٦٢.

ويُنسَب إلى سَحبان وائل[1]

أَمَّـا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ وَالآخِرَةَ دَارُ مَقَرٍّ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُم وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا حَيِيتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ أَلْيَوْمَ عَمَلٌ بِلاَ حِسَـابٍ وَغَدًا حِسَابٌ بِلاَ عَمَلٍ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا هَلَـكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ مَا قَدَّمَ فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُونُ لَكُمْ قَرْضًا وَلاَ تَتْرُكُوا كُلاًّ يَكُونُ عَلَيْكُمْ كَلاًّ.

---

(١) هـو سـحبان بن زفر بن إيـاس الوائلى من باهلة خطيـب يضرب به المثل فى البيان يقال "أخطب من سـحبان" و "أفصح من سحبان" اشتهر فى الجاهلية وعاش زمنًا الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقًا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ أسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به، وأقام فى دمشق أيام معاوية وله شعر قليل وأخبار، مات سنة ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م.

انظـر المزيـد فى: بلوغ الأرب ٣/ ١٥٦، شـرح المقامات للشريشـى ١/ ٢٥٣، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٦٥، خزانة البغدادى ٤/ ٣٤٧، الإصابة ت ٣٦٥٨.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِي الذَّمِّ والقطيعة

كتبَ أبو الفضل بنُ العميدِ إلى أبي عبد الله الطبرى

وَصَلَ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ الْعَهْدِ بالإنْطِلاَقِ مِنْ عَنَتِ الْفِرَاقِ وَافَقَنِي مُسْتَرِيحَ الأَعْضَاءِ وَالْجَوَانِحِ مِنْ جَوَى الإسْتِيَاقِ فَإِن الدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ الْمَأْلُوفِ فِي تَحْوِيلِ الأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ الأَشْكَالِ وَأَعْتَقَنِي مِنْ مَخَالِبِكَ إِعْتَاقًا لاَ تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلاَءً وَأَبْرَأَنِي مِنْ عُهْدَتِكَ بَرَآءَةً لاَ تَسْتَوجِبُ مَعَهَا دَرَكًا وَلاَ اسْتِثْنَاءً وَنَزَعَ مِنْ عُنُقِي رِبْقَةَ الذُّلِّ فِي إِخَائِكَ بِيَدَيْ جَفَائِكَ وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ نِيرَانِ الشَّوْقِ بِالسُّلُوِّ وَشَنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهِبُ فِي صَدْرِي مِنَ الْوَجْدِ مَاءَ الْبَأْسِ وَمَسَحَ أَعْشَارَ قَلْبِي فَلاَمَ فُطُورِي تَجْمِيلِ الصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلاَذَ كَبِدِي فَلاَحَمَ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ الْعَزَآءِ وَتَغَلْغَلَ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي فَعَوَّضَ عَنِ النِّزَاعِ إِلَيْكَ نُزُوعًا عَنْكَ وَمِنَ الذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ وَكَشَفَ عَنْ عَيْنَيَّ ضَبَابَاتِ مَا أَلْقَاهُ الْهَوَى عَلَى بَصَرِي

وَرَفَعَ عَنْهَا غِيَابَاتِ مَا سَدَلَهُ الشَّكُّ دُونَ نَظَرِي حَتَّى النِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شِيَمِكَ وَسَفَرَ عنْ وُجُوْهِ خَلِيقَتِكَ فَاذْهَبْ فَقَدْ أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ وَرَدَدْتُ إِلَيْكَ ذِمَمَ عَهْدِكَ.

وَلَهُ إليهِ أيضًا من رسالة

وَهَبْنِي سَكَتُّ لِدَعْوَاكَ سُكُوتَ مُتَعَجِّبٍ وَرَضِيتُ رِضَى مُتَسَخِّطٍ أَيُرْضِي الْفَضْلُ اجْتِذَابَكَ بِأَهْدَابِهِ مِنْ يَدَيْ أَهْلِيهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَحْسَبُكَ لَمْ تَزَاحِمْ خُطَّابَهُ حَتَّى أَنْشَدَكَ لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ضُرِّجَ مَا أَنْفُ خاطِبٍ بِدَمٍ وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حَلْيٍ تَصَدَّيْتَ لَهُ وَأَنْتَ لَوْ تَتَوَّجْتَ بِالثُّرَيَّا وَتَقَلَّدْتَ قِلَادَةَ الْفَلَكِ وتَمَنْطَقْتَ بِمِنْطَقَةِ الْجَوْزَاءِ وَتَوَشَّحْتَ بِالْمَجَرَّةِ لَمْ تَكُنْ إِلاَّ عُطُلًا وَلَوْ تَدَثَّرْتَ انْوَارَ الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجْتَ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَدْرِ الْبَاهِرِ مَا كُنْتَ إِلاَّ غُفْلًا لاَ سِيَّمَا مَعَ قِلَّةِ وَفَائِكَ وَضُعْفِ إِخَائِكَ وَظُلْمَةِ مَا نُبْصِرُهُ مِنْ خِصَالِكَ وَتَرَاكُمِ إِخَائِكَ ضَلاَلِكَ وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ وَلكِنْ أَيُّ سَاعَةِ مَنْدَمٍ بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي ابْتِدَائِكَ وَتَصَفُّحِي حَالاَتِ الدَّهْرِ فِي اخْتِيَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتُهُ وَتَقَضِّيَ مَا أَسَّسْتُهُ فَإِنَّ الْوِدَادَ غَرْسٌ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرى ثَرِيًّا وَمَاءً رَوِيًّا لَمْ يُرْجَ زَكَاؤُهُ وَلَمْ يَجْرِ مَاؤُهُ وَلَمْ تَتَفَتَّحْ أَزْهَارُهُ وَلَمْ تُجْرَ

ثِمَارُهُ وَلَيْتَ شِعْرِى كَيْفَ مَلَّكْتُ الضَّلاَلَ قِيَادِى حَتَّى أَشْكَلَ عَلَىَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُتَمَازِجَانِ وَلاَ يَسْتَغْنِى عَنْه الْمُتَالِفَانِ وَهِىَ مُمَازَجَةُ طَبْعٍ وَمُوَافَقَةُ شَكْلٍ وَخَلْقٍ وَمُطَابَقَةُ خِيمٍ وَخُلْقٍ وَمَا وَصَلَتْنَا حَالٌ جَمَعَتْنَا عَلَى ائْتِلاَفٍ وَحَمَتْنَا مِن اخْتِلاَفٍ وَنَحْنُ فِى طَرَفَىْ ضِدَّيْنِ وَبَيْنَ أَمْرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَّلْتَ الأَمْرَ وَجَدْتَ أَدْنَى مَا بَيْنَنَا مِنَ الْبُعَادِ أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ الْوِهَادِ وَالنِّجَادِ وَأَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَأَيْسَرَ مَا بَيْنَنَا مِنَ النِّفَارِ أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالإِعْلاَنِ وَالإِسْرَارِ.

وكتبَ أبو الفضلِ بديعُ الزمانِ الهَمَذانىُّ من رِسالةٍ إلى أبى نصر بن المرزُبان

كُنْتُ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِى وَمَوْلاَىَ فِى قَدِيمِ الزَّمَانِ أَتَمَنَّى لِلْكُتَّابِ الْخَيْرَ وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلاَفَ الرِّزْقِ وَيَمُدَّ لَهُمْ أَكْنَافَ الْعَيْشِ وَيُوطِئَهُمْ أَعْرَافَ الْمَجْدِ وَيُؤْتِيَهُمْ أَصْنَافَ الْفَضْلِ وَيُرْكِبَهُمْ أَكْنَافَ الْعِىِّ وَقُصَارَاىَ أَنْ أَرْغَبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِى أَنْ لاَ يُنِيلَهُمْ فَوْقَ الْكِفَايَةِ وَلاَ يَمُدَّ لَهُمْ فِى حَبْلِ الرِّعَايَةِ فَشَدَّ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ عَالٍ بِمَا يَنْظِمُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ وَتُنْسِيهِمْ أَيَّامُ اللُّدُونَةِ أَوْقَاتَ الْخُشُونَةِ وَأَزْمَانُ الْعُذُوبَةِ سَاعَاتِ

الصُّعُوبَةِ وَلِلْكُتَّابِ مَزِيَّةٌ فِي هذَا الْبَابِ فَبَيْنَا هُمْ فِي الْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ كَمَا انْتَظَمَ السَّمْطُ وَفِي الْعُزْلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا انْفَرَجَ الْمِشْطُ حَتَّى لَحَظَهُمُ الْجَدُّ لَحْظَةً حَمْقَاءَ بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ أَوْصَكِّ جِعَالَةٍ فَيَعُودُ عَامِرُ وَدِّهِمْ خَرَابًا وَيَنْقَلِبُ شَرَابُ عَهْدِهِمْ سَرَابًا فَمَا عَلَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى أُسْبِلَتْ سُتُورُهُمْ وَلاَ غَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلاَّ خَلَتْ بُدُورُهُمْ وَلاَ اتَّسَعَتْ دُورُهُمْ إِلاَّ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَلاَ أُوقِدَتْ نَارُهُمْ إِلاَّ انْطَفَأَ نُورُهُمْ وَلاَ زَادَ مَالُهُمْ إِلاَّ نَقَصَ مَعْرُوفُهُمْ وَلاَ وَرِمَتْ أَكْيَاسُهُمْ إِلاَّ وَرِمَتْ أُنُوفُهُمْ وَلاَ صَلُحَتْ أَحْوَالُهُمْ إِلاَّ فَسُدَتْ أَفْعَالُهُمْ وَلاَ حَسُنَتْ حَالُهُمْ إِلاَّ قَبُحَتْ خِلاَلُهُمْ وَلاَ فَاضَ جَاهُهُمْ إِلاَّ غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ وَلاَ لاَنَتْ بُرُودُهُمْ إِلاَّ صَلُبَتْ حُدُودُهُمْ وَلاَ عَلَتْ جُدُودُهُمْ إِلاَّ سَفَلَ جُودُهُمْ وَلاَ طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلاَّ قَصُرَتْ أَيَادِيهِمْ وَقُصَارَى أَحَدِهِمْ مِنَ الْمَجْدِ أَنْ لاَ يَخْرِجَ مَا لَهُ مِنْ عُهْدَةِ خَاتَمِهِ إِلاَّ يَوْمَ مَا تَمِهِ فَهُوَ يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْ وَارِثِ مَمَاتِهِ يَسْلُكُ فِي الْغَدْرِ كُلَّ طَرِيقٍ وَيَبِيعُ بِالدِّرْهَمِ أَلْفَ صَدِيقٍ.

فَصْلٌ

فِى الدُعاءِ

قالَ أَعرابىٌّ

اللّهُــمَّ اغْفِــرْ لِى وَالْجِلْدُ بَارِدٌ وَالنَّفْــسُ رَطْبَةٌ وَاللِّسَــانُ مُنْطَلِقٌ وَالصُّحُفُ مَنْشُــورَةٌ وَالأَقْلاَمُ جَارِيَةٌ وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ قَبْلَ آنِ الْفَرَقِ وَحَشْكِ النَّفَسِ وَعَلَزِ الصَّدْرِ وَتَزَيُّلِ الأَوْصَالِ وَنُصُولِ الشَّــعَرِ وَاجْتِيَافِ التُّرَابِ وَقَبْلَ أَنْ لاَ أَقْدِرَ عَلَى اسْــتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الأَجَلُ وَيَنْقَطِعُ الْعَمَلُ أَغْنَى عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَغُمَّتِهِ وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِــهِ اغْفِرْ لِى مَغْفِرَةً لاَ تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلاَ تَدَعْ كَرْبًا اغْفِرْ لِى جَمِيعَ مَا افْتَرَضْتَ عَلَىَّ وَلَمْ أُوَدِّهِ إِلَيْكَ اغْفِرْ لِى جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُــمَّ عُدْتُ فِيهِ يَارَبِّ تَظَاهَــرَتْ عَلَىَّ مِنْكَ النِّعَمُ وَتَدَارَكَتْ عِنْدَكَ مِنِّى الذُّنُوبُ فَلَــكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِى تَظَاهَرَتْ وَأَسْــتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِى تَظَاهَرَتْ وَأَسْــتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِى تَدَارَكَتْ وَأَمْسَــيْتَ عَنْ عَذَابِى غَنِيًّــا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ

فَقِيرًا اللهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الأَجَلِ اللهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِى مَا وَلِىَ أَجَلِى اللهُمَّ اجْعَلْنِى مِنَ الذِينَ إِذَا أَعْطَيْتَهُمْ شَكَرُوا وَإِذَا ابْتَلَيْتَهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا وَاجْعَلْ لِى قَلْبًا تَوَّابًا أَوَّابًا لاَ فَاجِرًا وَلاَ مُرْتَابًا اجْعَلْنِى مِنَ الذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا ازْدَادُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا اللهُمَّ لاَ تُحَقِّقْ عَلَىَّ الْعَذَابَ وَلاَ تَقْطَعْ بِىَ الأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ ضَعِيفٌ وَمُنَّتُهُ عَاجِزَةٌ قَدِ انْتَهَتْ عِدَّتُهُ وَخَلُقَتْ جَدَّتُهُ وَتَمَّ ظِمْؤُهُ اللهُمَّ لاَ تُخَيِّبْنِى وَأَنَا أَرْجُوكَ وَلاَ تُعَذِّبْنِى وَأَنَا أَدْعُوكَ أَلْحَمْدُ لِلهِ عَلَى طُولِ النَّسِيئَةِ وَإِسَاغَةِ الرِّيقِ وتَأَخُّرِ الشَّدائِدِ وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى لاَ يُودَى قَتِيلُهُ وَلاَ يَخِيبُ سَائِلُهُ وَلاَ يُرَدُّ رَسُولُهُ أَللهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلاَّ إِلَيْكَ وَمِنَ الذُّلِّ إِلاَّ لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فَجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ النِّعْمَةِ.

وقال أعرابىٌّ غيره

أَللّهُمَّ اسْتَغْفَارِى إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِى لَلُؤْمٌ وَإِنَّ تَرْكِىَ الإِسْتِغْفَارَ

مَعَ مَعْرِفَتِى بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزٌ إِلى كَمْ تَجَبَّبْتَ إِلَىَّ بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ غَنًى وَكَمْ أَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِى وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا وَإِذَا وَعَدَ وَفَى.

وقال آخر

أَللهُمَّ إِنَّ ذُنُوبى إِلَيْكَ لاَ تَضُرُّكَ وَإِنَّ رَحْمَتَكَ إِيَّاىَ لاَ تَنْقُصُكَ فَأَغْفِرَ لِى مَا لاَ يَضُرُّكَ وَهَبْ لِى مَا لاَ يَنْقُصُكَ.

obeikandl.com

فَصْلٌ

فِى القول عند الوقوف على القبور

قالت أعرابية

وَاللهِ يَـا بُنَىَّ لَقَـدْ غَذَوْتُكَ رَضِيعًـا وَفَقَدْتُكَ سَـرِيعًا وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَذُّ بِعَيْشِـكَ فِيهَا فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْغَضَارَةِ وَرَوْنَقِ الْحَيَاةِ وَالتَّنَسُّـمِ مِنْ طيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ طِبَاقِ الثَّرَى جَسَـدًا هَامِدًا وَرُفَاتًا سَـحِيقًا وَصَعِيدًا جُـرُزًا أَىْ بُنَىَّ لَقَدْ سَـحَبَتِ الدُّنْيَا عَلَيْـكَ أَذْيَالَ الْفَنَا وَأَسْـكَنَتْكَ دَارَ الْبِلَى وَرَمَتْنِى بَعْـدَكَ نَكْبَةُ الرَّدَى أَىْ بُنَىَّ لَقَدْ أَسْـفَرَ لِى عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلاَمُهُ أَىْ رَبِّ وَمِنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خُلُقِكَ الْجُودُ وَهَبْتَهُ لِى قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ تَمْتِّعْنِى بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَـلَبْتَنِيهِ وَشِيكًا ثُمَّ أَمَرْتَنِى بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِـى عَلَيْهِ الأَجْـرَ فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيـتُ قَضَاءَكَ اللهُمَّ أَضْرِحَمْ غُرْبَتَهُ وَآنِسْ وَحْشَـتَهُ وَاسْتُرْ عَوْرَتَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ وَالسَّوْءَاتُ أَىْ بُنَىَّ إِنِّى قَدْ تَزَوَّدْتُ لِسَفَرِى فَلَيْتَ شِعْرِى مَا زَادُكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمِ مَعَادِكَ أَللهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ لَهُ الرِّضَى بِرِضَاىَ عَنْهُ

أَىْ بُنَىَّ اسْتَوْدَعْتُكَ مَنِ اسْتَوْدَعَنِيكَ فِى أَحْشَائِى جَنِينًا وَاتُكْلَ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ مَضَاجِعَهُنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلَهُنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارَهُنَّ وَأَقَلَّ أُنْسَهُنَّ وَأَشَدَّ وَحْشَتَهُنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الأَحْزَانِ.

وقالت امرأة الاحنف بن قيس[1]

لِلّهِ دَرُّكَ مِنْ مُجَنٍّ فِى جُنَنٍ وَمُدْرَجٍ فِى كَفَنٍ نَسْأَلُ الَّذِى فَجَعَنَا بِمَوْتِكَ وَابْتَلاَنَا بِفَقْدِكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يُوَسِّعَ لَكَ فِى قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَوَاللّهِ لَقَدْ كُنْتَ فِى الْمَحَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى الأَرَامِلِ عَطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتَ فِى الْحَقِّ مُسَوَّدًا وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوقَدًا وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا وَمُتَّ سَعِيدًا مَفْقُودًا.

---

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّى السعدى المنقرى التيمى أبو بحر سيد تميم وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين يضرب به المثل فى الحلم. ولد سنة ٣ ق.هـ/ ٦١٩ م ومات سنة ٧٢ هـ/ ٦٩١ م.

انظر المزيد فى: طبقات ابن سعد ٧/ ٦٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٣٠، ذكر أخبار أصبهان ١/ ٢٢٤، جمهرة أنساب العرب ٢٠٦، تهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠، تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٩.

وقال حيَّان بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل[1]

إِنْعَمْ ظَلاَمًا يَا أَبَا عَلِيٍّ بَطِيئًا بِوَعِيدِكَ وَكُنْتَ لاَ تَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ وَلاَ تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ اللَّيْثُ وَلاَ تَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ وَكُنْ خَيْرَ النَّاسِ حِينَ لاَ تَظُنُّ نَفْسٍ خَيْرًا.

---

(١) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامرى من بنى عامر بن صعصعة فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم فى الجاهلية. كنيته أبو على ولد سنة ٧٠ ق. هـ/ ٥٥٤ ونشأ بنجد وكان يامر مناديًا فى "عكاظ" ينادى: هل من راجل فتحمله؟ أو جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه. وخاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخًا، فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المدينة بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه فدعاه إلى الإسلام، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولى الأمر من بعده، فرده، فعاد حنقًا وسمعه أحدهم يقول: لأملأنّ خيلاً جردًا ورجالاً مردًا ولا ربطن بكل نخلة فرسًا فمات فى إحدى وقائعه، عقيمًا لا يولد له. وهو ابن عم لبيد الشاعر، أخباره كثيرة متفرقة.

انظر المزيد فى: خزانة البغدادى ١/ ٤٧١ – ٤٧٤، رغبة الآمل ٢/ ١٧٦ ثم ٨/ ١٦٥ و ٢٤٣، التبريزى ١/ ٨١ ثم ٢/ ١٢١، الشعر والشعراء ١١٨، الإصابة ت ٦٥٥٠، البيان والتبين ١/ ٣٢، المحبر ٢٣٤ و ٤٧٢، ثمار القلوب